الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر
- باتنة -

كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

سمات الإقتصاد اللغوي في العربية

-دراسة وصفية تحليلية-

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغويات

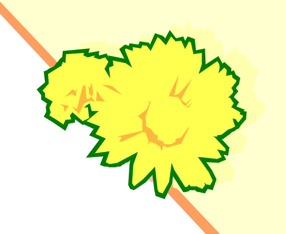
إعداد الطالب :
وردة غديري

إشراف الدكتور:
د. بلقاسم ليبارير

أعضاء لجنة المناقشة:

د. محمد بوعمامة	جامعة الحاج لخضر	باتنة	رئيسا
د. بلقاسم ليبارير	جامعة الحاج لخضر	باتنة	مشرفا ومقررا
د. كمال قادري	جامعة فرحات عباس	سطيف	عضوا
د. بشير إبرير	جامعة باجي مختار	عنابة	عضوا

السنة الجامعية :
1423- 1424هـ/2002 -2003م



إهـــــداء

إلى من علمتني الصبر و الوفاء .... أمي

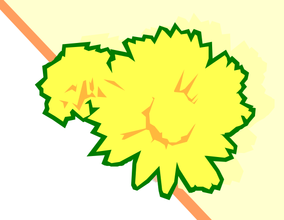
إلى من فرش لي الطريق ورودا بعرقه وشجعني على المواصلة ....أبي

إلى زوجي "عبد الحليم " الذي شاركني رحلة الحياة والبحث .

إلى عائلتي الأولى والثانية خاصة حماي العزيز .

ĪƧĂ‡Ǥh!ƒ ĳŔǌ Ǵƶŏdžɳ ƇŮƌǌ Ĭ!ǫ ĭþǌĐ





شكـــــر وتقديـــــــر

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الكريم الدكتور بلقاسم ليبارير الذي احتضن هذا البحث بصدر رحب ولم يبخل علي بالتوجيه والإرشاد كما أقدم شكري إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة فقد منحوني من وقتهم الثمين ماسمح لقراءة هذا البحث المتواضع وأتقدم شكري الخالص إلى الدكتور محمد بوعمامة والأستاذ خلخال منصور لما قدماه لي من مساعدة و توجيه كما أشكر أسرة معهد اللغة العربية وآدابها وأخص بالذكر السيدين :متقدم الجابري ، ورئيس القسم الأستاذ الشريف بوروبة



إن ما قيل عن العربية حول سمات الاقتصاد اللغوي فيها يحتاج إلى استقصاء فهو من أخص خصائصها و هو في الكتابة و في النطق كذلك . فكما تأخذ اللغة قدرا أقل من اللفظ كذلك تأخذ حيزا أقل من الورق .

و الملاحظ أن اكتشاف أهمية هذه الظاهرة التي تعد من النوادر أو مما يجذب دون أن يقاوم إذ استهوتني الظاهرة التي رأيتها تخدم اللغة كثيرا و كذلك الباحث و لقد زاد اهتمامي اكثر بهذا الموضوع وبخاصة لما اكتشفت أن مجاله واسع جدا و خصب حتى في القرآن الكريم .

و كذلك نظرا للقلة الدراسات حول هذه الظاهرة شجعني ذلك على البحث في هذا المضمار الخاص باللغة وذلك رغبة مني في الإسهام و لو بقدر متواضع في خدمة هذه اللغة الشريفة ويدفعني إلى ذلك أيضا شغفي ولهفتي إلى الاستئناس بما قدمه علماؤنا الأفاضل من شروح وتعليقات مهمة وما قدمه بعض الدراسين المحدثين من دراسات نحوية ولسانية وصرفية وكل ما يخص اللغة العربية .

كذلك ذلك الإختلاف الذي نجده بين المنطوق والمكتوب فيمكن رده غالبا إلى الاقتصاد اللغوي ، وطبعا باعتماده على الوجهات الثلاث الصوتية والنحوية والدلالية اتجهت إلى أن أجعل منها و من أيات القرآن الكريم ومن أمثلة العرب وكذلك من الأبيات الشعرية لفحول الشعراء مختارة بعض الظواهر النحوية واللغوية والصوتية ، كما أنني وجدت في هذه السمات الحقل الخصب لدراسة الاقتصاد ومسعاي الوحيد هو أن أفيد منها قدر المستطاع لذلك جاء عنوان البحث : " سمات الاقتصاد اللغوي في العربية دراسة وصفية تحليلية".

هذا لكون اللغة العربية نجد فيها اختلافا بين المنطوق والمكتوب وذلك نرده إلى الاقتصاد اللغوي .
وما ساقنا إلى هذا هو معرفتنا أن لغة الكتابة تعتمد على اللغة المنطوقة ولقد حاولت في هذا البحث أن أتتبع بعض الظواهر التي يظهر فيها الاقتصاد في النطق وذلك للصلة الوثيقة بين الكتابة والمنطق ، أي العلاقة بين مكونات اللغة وعناصرها .

وقد تتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يستمد عناصره من بلاغة القرآن ومن الشعر العربي أي الذي يستند إلى الامثلة التي قدمتها في كل عنصر وحكمها العام في بحث الصور المراد إستخدامها.

وعمدت إلى مصادر ومراجع في هذه المذكرة منها:

- الكتاب : لسيبويه
- تهذيب اللغة": للأزهري
- سر صناعة الإعراب/ الخصائص: لابن جني
- تفسير الكشاف: لزمخشري

وسقت بعض المراجع مثل:

- النمو اللغوي من خلال لسان العرب دراسة دلالية تحليلية: لبلقاسم لبرير
- الحذف البلاغي في القرآن الكريم: لمصطفى عبد السلام أبو شادي
- ظاهرة التنوين في اللغة العربية: لعوض الموسى جهاوي
- العربية معناها ومبناها: لتمام حسان
- من وظائف الصوت اللغوي: لأحمد كشك
- النحت في اللغة العربية: لمحمد حسين عبد العزيز
- التفكير اللساني للحضارة العربية: لعبد السلام المسدي

ولست اغفل عما واجهتني من صعوبات وهذا من الطبع جدا أن تحف بكل عمل صعوبات جمة وتكون مرتبطة بالدراسة ومن أبرزها صعوبة الحصول على المصادر والمراجع التي تخدم الاقتصاد اللغوي ولكن بعون ا تذللت هذه المصاعب لكن ما يمكن الإشارة غليه هو أنني في منهجي حاولت في فهم بعض الشواهد أن اربط بين المفهوم المستنتج من الشرح وبين تذوقي للجانب النحوي والبلاغي لكوني نظرت إلى الشواهد نظرة ذوقية تحليلية.

وقد اقتضت الدراسة أن يقع البحث في مدخل وفصلين:

تناولت في المدخل : التعريف بالاقتصاد من الناحية اللغوية والاصطلاحية وتطرقت إلى بعض المصطلحات الرئيسة التي يمكن أن تتداخل معه في علاقته باللغة .

تناولت في الفصل الأول الاقتصاد اللغوي من الوجهة الصوتية ، بحيث كانت العناصر في هذا الفصل من الوجهة النظرية مع الشرح والتوضيح لهذه العناصر وكيفية ورودها في اللغة العربية وكذلك طريقة استخدامها ، و كان كل عنصر بمفرده، وكان من بينها التنغيم ، النبر ... وكنت في آخر كل عنصر أوضح كيف يمكنه أن يكون مؤديا لغرض بحثي ، كنت أتناول التعريف أولا ثم أحدد أماكن وجود العنصر وكيفية ظهوره واختمه بلمحة تطبيقية تبين الغرض جيدا وكنت أستعين في ذلك بالمجال الصوتي.

أما الفصل الثاني : فقد عرفت فيه بالعناصر التي تتعلق بالاقتصاد من الوجهة النحوية وكذلك تناولت الأمور المتعلقة ببناء الجملة من تنوين واختصار وإضمار كما وقفت على الأغراض التي تعمل هذه العناصر على تحقيقها حيث ألمعت فيه إلى النماذج التي يمكن لبعض الحركـات والحروف أن تحل محـل جملـة أو كلمة كالتنوين مثلا هذا ما فعلته مع باقي العناصر ، كما تعرضت لعنصري الاختصار ، والإضمار اللذين يتماثلان في عدد وجوه حيث تمكنت من إيجاد غرض وجود كل عنصر منهما بمفرده.

في ختام مقدمتي أتوجه بالشكر والامتنان للدكتور بلقاسم ليبارير الذي أشرف على هذه المذكرة فله مني أجزل تقدير كما لا أنسى هذه اللجنة الموقرة التي ستوجهني بدورها إلى ما فاتني في هذا العمل المتواضع فلها شكري الخالص ، ولا أنسى قسم اللغة العربية وآدابها والمكتبة وإلى هؤلاء جميعا خالص شكري وعظيم إمتناني.

وا أسأل أن يلهمني التوفيق في عملي ، وهو حسبي و الهادي إلى سواء السبيل .

لقد ألف العرب في كلامهم الإيجاز قصد الاختصار وقلة الكلام ، ولم يؤثروا الإطناب إلا في حالات يمكن عدها ، يقول المبرد :" من كلام العرب الاختصار المفهم والإطناب المفخم " [(1)] ، نفهم من هذا أن للإيجاز مواطنه ، فلا يمكن للإطناب أن يتخل فيها ، ويمكننا أن نورد قول الجاحظ :" أن التقليل للتخفيف ، والتطويل للتعريف والتكرار للتوكيد والإكثار للتشديد " [(2)] ، أي أن كل من هذه العناصر يحتاج إليها الكلام ، ولكل منها موضعه ، فالحاجة إلى الإيجاز كالحاجة إلى الإطناب " [(3)] .

الإيجاز أحد أقسام الاقتصاد ، ومن فروع علم المعاني ، ويراد به أداء المقصود من الكلام بأقل قدر ممكن من الألفاظ ، ويعرفه الرماني بأنه تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى [(4)] ، وهو نوع شريف من الكلام يتعلق به فرسان البلاغة [(5)]. فالمعاني فيه أولى بالاهتمام لفهم التركيب ، كما أن ترك الذكر في الكثير من الأحيان يكون أفصح من الذكر في حد ذاته وكما يعد الصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، كما أنه تجد نفسك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، ويتم بيانك إذا لم تبن على حد قول عبد القاهر الجرجاني .

يقول ابن رشيق : [(6)].

سكـت له ظنا بعرضي فلم اجـب *** وربما جـواب في السكـوت بليغ .

ويقول أيضا :

مـا سكتنـا عنـك عيـا *** ربما نطـق فـي السكـوت .

نلاحظ مدى تجاوب ابن رشيق مع عبد القاهر الجرجاني ، فهو كذلك يعد السكوت أبلغ جواب في الكثير من الأحيان ، ويقصد بذلك الاقتصاد .

---

[1]) الكامل في اللغة والأدب ،أبي العباس المبرد ، مكتبة المعارف ، 17/1

[2]) رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، 1991 ، م2 ، 152/4 .

[3]) كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ص 196 .

[4]) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن الرماني ، ط2 ، ص 76.

[5]) المثل السائر ابن الأثير ، ط1 ، 1960 ، 265/2 .

[6]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، القيرواني ، ط2 ، 1963 ، 243/1 ، 244 .

وغاية المتكلم في اللجوء إلى الاقتصاد هي احترام وقت المتلقى وخوفه عليه من الملل وكذلك محاولة منه لبذل أبسط جهد ممكن .

مدخـــل

وبهذا يقوم المؤلف بجمع الصورة والخيال والعاطفة والتجربة في عبارة قصيرة والأديب النبيه هو الذي يطرح فكرته وإحساسه في لمحة سريعة قبل انقضاء نشاط المتلقي ، وهكذا يتمكن من توصيل ما يريد إليه ، ويجعله يشارك في تكملة الكلام .

وإذا عدنا إلى العربية نجد أن هذا الاقتصاد سليقة في بلاغة العرب وطبعهم ، فحرصوا عليه من دون التعرف عليه كمصطلح فحذفوا الحرف و الكلمة والجملة والجمل ، فقد قال رسول ا صلى ا عليه وسلم : " أتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا " .

كما نجد كذلك الفحول من الشعراء يلجأون إلى الاقتصار في شعرهم ، ونجد الفرزدق يلجأ إلى القصائد القصيرة، ولما سئل عن ذلك قال :" إني رأيتها في الصدور أوقع وفي المحافل أجود " [1] ، وقد نقل إلينا أبو هلال العسكري قول شبيب بن شبة : " القليل الكافي خير من كثير شاف " .

ظاهرة الاقتصاد : هو ظاهرة لغوية غير مقصورة على اللغة العربية وحسب ، وانما هي ظاهرة معروفة في كل لغات العالم ، ولكن بدرجات متفاوتة، ويتأثر بها التركيب والصوت، وبالتالي كانت من الظواهر العالمية في اللغات ، إذ إنها ليست وقفا على لغة دون أخرى [2].

ويعد الاقتصاد ظاهرة أصيلة في العربية وذلك من حيث الوجود والآن يمكننا القول حتى من حيث الدراسة ، فقد وردت هذه الظاهرة في القرآن الكريم كما وردت في شواهد النحاة والبلاغيين ، فالنحوي ينظر إليها من ناحية هل يجوز حذف كلمة مقابل وجود علامة إعرابية تنوب عن ذلك ، بحيث جوزوا حذف الفعل والفاعل والمفهوم وغيرهم، أما البلاغيون فينظرون إلى الاقتصاد من زاوية

---

[1]) كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ص 180 .
[2]) علم الجمال اللغوي ، سليمان ياقوت ، 307/1.

أداء الجملة للمعنى ، فدرسوا حقيقتها وطريقة اللجوء إليها ، فالاقتصاد عندهم ملفت للانتباه ، وله أغراض بلاغية واضحة تظهر بوضوح في سمات الاقتصاد .

أما علماء الأصوات فينظرون إليه من خلال خدمته لأصواتهم وكيف يمكنها أن تؤدي المعنى بوجوده ، وذلك طبعا من خلال الظواهر الصوتية التي تمثله جيدا ، وكذلك الدلاليون فهم ينظرون إليه من خلال بناء الكلمة عندهم ، فقد جوزوا بناء كلمة تولد من خلال اجتماع عدة حروف من عدة كلمات ، وهذا ما عرف عندهم بالنحت والذي يعد من أكبر سمات هذا الاقتصاد .

يقال في اللغة : القصد في الشيء: خلاف الافراط وهو ما بين الاسراف والتقتير ، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتر . يقال : مقتصد في النفقة وقد اقتصد [1].

يقال فلان مقتصد في المعيشة وفي النفقة، وقد اقتصد، واقتصد في أمره: استقام وفي البصائر للمنصف : واقتصد في النفقة : توسط بين التقتير والاسراف ، قال صلى ا عليه وسلم " ولا عال من اقتصد " [2].

ونجده في الصناعة لابن جني : أصل قصد "ق.ص . د" ومواقعها في كلام العرب : الاعتزام ، والتوجه والتهود والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة، وفي بعض المواقع يقصد الاستقامة دون الميل [3].

---

1) انظر لسان العرب ، ابن منظور ،دار صادر بيروت ، مادة(قصدً) مج 3ص : 353-354
2) تاج العروس ، الزبيدي تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، م9 ، ص 36.
3) المصدر نفسه ، ص 35.

أما الاقتصاد في اصطلاح اللسانيين هو : أن يكون المعنى المندرج تحت عبارة حسب مايقتضيه المعبر عنه مساويا له من غير زيادة ، فيكون افراطا ، ولا نقصانا فيكـون تفريطا [1] ومنه الآية : " قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهـم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضـون والذين هم للزكاة فاعلـون أولئك هم الوارثون " [2].

ويعرفه بيرجيرو : أن الاقتصاد في الكلام مرتبط بشرط الجهد الأقل ولذا فهو يعتبر مصدر آخر من مصادر تغير المعنى .

ويقول إننا نحذف من الخطاب كل شيء لا يعتبر ضروريا له ، وإن الحذف طريقة شائعة بالنسبة لهذه القضية ، فجملة مثل : " مدينة العاصمة الفرنسية " تصبح " العاصمة الفرنسية" ثم تصبح بعد ذلك " العاصمـة" فقط [3] ، وكلمة العاصمة تعني باريس وتعني كذلك المدينة .

وقد يأخذ الاقتصاد شكلا آخر ، إذ يستطيع أن يصيب الكلمات نفسها وفي هذه الحالة نصل إلى مايعرف بالبتر ومثال ذلك " Automobile véhicule" وتعني عربة نقل متحركة آلية أو سيارة " إلى تعبير أقل : "Auto" ، ومنها كذلك عبارة ، " Cinématographie " وتعني الصور المتحركة حيث تصبح "cinema" ثم تنتهي إلى أن تصير " Ciné" [4] .

والاقتصاد اللساني هو ذلك البحث الدائم عن التوازن بين الحاجات المتناقضة الذي ينبغي تلبيتها حاجات التبليغ من جهة فخمول الذاكرة والنطق من جهة أخرى وبين الحاجات والخمول صراع دائم ، وإن قيام كل هذه العوامل بدورها تحدها المحضورات المختلفة التي تنحو إلى تجميد اللسان بإبعاد كل تجديد صارع [5].

---

1) المعجم المفصل محمد التونجي .
2) سورة المؤمنون ، الآية 23 .
3) علم الدلالة ، بيارجيرو ، ص 108.
4) المرجع نفسه ، ص 108.
5) مبادئ في اللسانيات ، اندريه مارتيني ، ترجمة د: سعدي زبير ، ص154.

ومهما اختلف مفهوم الاقتصاد ، فإنه لايكاد تخرج عن كونه هو وسماته قطع من الجملة سواء كان حركة أو حرفا أو كلمة أو تركيبا .

فالاقتصاد ظاهرة لغوية هدفها استخدام أقل جهد ممكن ، حيث تؤثر في المتلقي فتجعله يتصور ما يناسب ويعطيه متسعا يتوهم فيه الكثير من الأشياء التي يمكن أن يحتمل معناها اللفظ المقتصد فيه .

ويلجأ إلى سمات الاقتصاد " الحذف ، الإيجاز و الاختصار" وترك الخيال للمستقبل كي يتصور كل أمر ممكن ويكون –أحد سمات الاقتصاد– الحذف مراعاة للوزن أو الوضوح " بحيث لا يختل المعنى ولا يفسد" [1] .

وبالنظر إلى معنى الاقتصاد الاصطلاحي نجده يتداخل مع المصطلحات التي استعملت بدلا عنه عند الكثيرين، ويمكننا أن نحاول فيما يلي التطرق إلى هذه المصطلحات :

- **الإضمار** : يعني الاخفاء ، يقال أضمرت الشيء أخفيته ، وهو مضمر وضمير [2] ، وأضمرته الأرض : غيبته إما بموت أو سفر ، ويطلق الإضمار اصطلاحا على اسقاط عنصر ما من القول [3]، وبذلك يقترن الاقتصاد مع الإضمار من حيث كلاهما يعملان على العمل بمبدأ الجهد الأقل ولايكونان ظاهران في النص، فتجدنا نستخدم كلمة اضمار ونحن نقصد أنها خادمة للعملية الاقتصادية .

[1]) الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية) ،فتح الله أحمد سليمان ، ص 63 .

[2]) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (ضمر)

[3]) مجلة الفكر العربي ، الألسينة ، أحداث العلوم الانسانية ، هيام كريدية ، العدد 8 – 9 ، ص : 81 .

- **الاستتار** : ستر الشيء يستره ويستره سترا أخفاه ، والستر : مصدر سترت الشيء أستره إذا غطيته فاستره [1] ، ويكون الاستتار في ضمائر الرفع التي لايمكن أن يحل محلها الاسم الظاهر والضمير المنفصل ويعرب توكيد نحو: أسافر أنا. حيث يمكننا الاستغناء عن الضمير أنا ، وتقول : أسافر ، ويعرب فعلا مضارعا والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا . والاستتار يكون في الضمائر على تقدير الوجود وهدف الاستتار هو التخفيف .

من خلال كل هذا ما يمكن ملاحظته هو أن مجال الاقتصاد واسع ، أما مجال الاستتار فهو خاص بالضمائر ، أضف إلى ذلك أن لكل من الاقتصاد والاستتار مفهوما خاصا به .

- **الحذف** : اختفاء وحدة نطقية (فونيم) أو مجموعة من الوحدات النطقية "الفونيمات" في أثناء النطق ومختلف باختلاف موقعه من الكلمة [2] ، وطبعا باختفاء أو بإسقاط عدد من الفونيمات والتي تعد فائضا لغويا في هذه الحالة ، فإنه يعتبر اقتصادا بحد ذاته .

وهناك مصطلحات أخرى تلتقي بالاقتصاد وهي كثيرة وتقريبا كل سماته تعد مصطلحات تلتقي معه كثيرا حتى وأن أختلف التعريف بينهم .

---

[1]) لسان العرب مادة (سترً)

[2]) المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، د. محمود رشاد الحمزاوي ، ص 107.

الفصل الأول :

الاقتصـــــاد اللغـــوي من الوجهـــة الصوتيـــة

الفصل الأول :
الاقتصاد اللغوي من الوجهة الصوتية

أ – التقطيع المزدوج

ب- الادغام و الوقف

ج- المركب المزجي و النحت

د- الاقتصاد في الجهد العضلي

أولا : التقطيع المزدوج : Double Articulation

حسب راي ماد تنيه فإن الخاصية البنيوية الأكثر أهمية للغة الانسانية تحركها أيضا عوامل الاقتصاد اللغوي ، وهذا هو مبدأ ثنائية التنميط Dualitity of pattering وهو ما يعرف أيضا "بالبناء المزدوج" Double Articulation الذي يسمح للوحدات اللغوية بأن تجد إلى وحدات ذات معنى على مستوى معين أي " مونيمات" Monems حسب مصطلح مارتنيه ووحدات تفرق في المعنى ، أي فونيمات على مستوى آخر ، وهو ما يشرحه مارتنيه : " الميزة الواضحة للبناء الثاني هي الاقتصاد ، والبناء الأول بناء اقتصادي بمعنى أنه من الممكن عن طريق آلاف قليلة من المونيمات غير المحددة جيدا انجاز رسائل مختلفة لاحد لها و بالطريقة نفسها فإن البناء الثاني بناء اقتصادي ، حيث أن مجموعة متمايزة من بعض الدست من الفونيمات تتيح للانسان أن يحفظ كل المونيمات مستقلة بعضها عن بعض بالقدر الذي يحتاجه ، ومن وجهة نظر وتنوع وغنى الاتصال الانساني فإن البناء المزدوج هي معالجة ضرورية للغات الانسانية " [1] .

ويرى مارتنيه أن الخاصية التركيبية للبناء المزدوج ذات أهمية أساسية قصوى لدرجة أن تطور الانسانية لايمكن تصوره من دون الاقتصاد الذي حققه تجزء المونيمات إلى فونيمات وتجزء الوحدات الالقوية إلى عناصر أصغر يستمر على مستوى الفونيمات التي بتكونها كما هو الحال من مجموعات من الملامح النطقية تكشف أيضا عن بنيه داخلية ، والنظام الفونيمي المعين يمكن تصوره نظريا باعتبار أن كل عنصر فيه يتميز عن كل العناصر الأخرى بالنظر إلى كل ملامحه النطقية و المتحدثون عندئذ عليهم أن يميز و بأعضائهم النطقية أنواعا من النطق أكثر من عدد الفونيمات التي تملكها لغتهم ، وبالتالي سوف يكون غير اقتصادي بشكل كبير ، وفي الواقع لايوجد مثل هذه الأنظمة الفونيمية ، والأصح هو أن ما بين 80% إلى 100% من فونيمات نظام معين تتحقق عن طريق تجميع ملامح نطقية تقع في أكثر من واحد من الفونيمات الأخرى ، ويسميه "اندرية" "اقتصاد الملامح" بحيث أنه كلما كان عدد الفونيمات يمكن أن تميز عن طريق مجموعة معينة من الملامح عددا اكبر كان الاقتصاد في الملامح أكبر [2].

---

[1]) مبادئ في اللسانيات – اندرية مارتنمه (35 – 1969).

[2]) نفس المصدر ص 173 .

مما جاء به مارتنيه يمكننا القول أن اللغة الانسانية تعمل من خلال النطق و التلفظ بها ، اذا يمكننا تقطيع الكلام البشري إلى وحدات ، وحدات دالة ، وأخرۃ غير دالة ، ويمكن ملاحظة ذاك أيضا على اللغة المكتوبة ، وهذا ما يمكننا ملاحظته على الجملة المكتوبة حيث يمكن تقسيمها إلى كلمات منفصلة عن بعضها وهذه الأخيرة يمكن تحليلها إلى حروف متتالية وهذا هو " التقطيع المزدوج" .

ويمكننا ملاحظة ذاك عند دۃ سوسير حيث عرف اللغة على أساس أنها " تعاقد بين الأصوات والأفكار" كما يمكننا القول أن الكلام عبارة عن مجموعة من العلامات اللغوية ، والتي يمكن تجزئيها إلى علامات منفصلة عن بعضها البعض وكل علامة من هاته العلامات يمكن أيضا تقسيمها إلى متوالية من الأصوات.

إذا فإن التقطيع المزدوج على رأي " مارتنيه" خاص باللغة البشرية ، إذ أنه يقول بجواز تحليل كل الخبرات الانسانية ، أي أن التقطيع خاص باللغة التي تختلف أساسا عن الانتاجات الصوتية الأخرۃ اللالغوية وباقي الانظمة الاتصالية الأخرۃ ، كبعض الاشارات و أشباه اللغات.

مما سبق تبين لنا أن التقطيع المزدوج هو عبارة عن مجموعة تقطيعين أول وثان :

البناء الأول : التقطيع الأول :

كما قلنا سابقا فإن هذا التقطيع وهو تحليل من الدرجة الأولى لكل خبرة كلامية أو تجربه انسانية ، أو بالأحرۃ لكل فكرة يريد ايصالها كل فرد لآخر أو لمجتمع فهي تصل عبارة عن تتالي لوحدات كلامية بحيث يقول Jeau du bois : " هي تتابع من الوحدات الكلامية لكل منها صورة صوتية ودلالة معنوية ، فبوسعنا تصور أن نتصور تنظيم اشارات كيف تطابق كل اشارة منها نوعا خاصا من الموافق و الخبرات " (1)

في التقطيع الأول : الجملة تقطع خطيا إلى وحدات لها معنى (علامات جمل كلمات ..الخ) ونسمى مونيمات ومثلا على ذاك : " الطفل نائم" L’enfant doramira تقطع إلى خمس مونيمات {L_1 - a - F_2a - a_5}

{$dorm_3$ - ir_4-

بحيث يمكن لكل واحد منها أن يتبدل في نفس المستوۃ بمونمات أخرۃ على الخط الاستبدالي ، أو يمكن أن توجد في مكان آخر مركبة من مونمات أخرۃ على الخط الركني (الأفقي) (2)

---

(1) المصدر : معجم اللغات Jeau du bois et autre P.D de l’igt ص 49- 50

(2) المصدر نفسه ص 49.

يقول اندريه مارتيه :" كل وحدة من وحدات التقطيع الأول كمثل .. معنى و صورة صوتية و أنه لايمكن أن تحال إلى وحدات متوالية دنيا ذات معنى .. ولكن الصورة الصوتية قابلة للتحليل إلى متواليه من الوحدات ... وهذا مانسميه التقطيع الثاني للغة " [(1)].

البناء الثاني : التقطيع الثاني :

كما قلنا سابقا فإن الخبرة أو التجربة الانسانية قد قسمت إلى كلمات و مونمات لها معنى وهذا يسهل علينا ايصال ما نريده إلى غيرنا ، فإن هذه الأخيرة تحال أيضا إلى مجموعة من الوحدات في هذه المرة لامعنى لها ولا دلالة .

ويقول في ذلك مشال زكريا أن التقطيع الثاني هو عبارة عن عملية تقوم نتيجة التقطيع السابق فكل وحدة من الوحدات الدالة (المونيمات) تقطع بدورها إلى وحدات صغرة غير دالة بمفردها ، ف " الإشارة اللغوية قابلة للتحليل وفق تتابع وحدات مميزة غير دالة [(2)]

فلو أخذنا الفعل " كتب" مثلا فإنه يمكننا تحليل هذه الصورة الصوتية (كتب) إلى ثبات وحدات صوتية مميزة /كزتزب/ أي/ك + فتحة / ت + فتحة / ب + فتحة / إذ تحتوي هذه الوحدات على شكل صوتي ولاتحتوي أيامنها أية دلالة وهي غير قابلة للتقطيع أو التحليل مرة أخرة وتعد هذه الأخيرة عماد اللغة فمن خلالها يمكن تشكيل العديد من الكلمات و المفردات مثل : بكت ، تكب ، بكت ....

من خلال التقطيع المزدوج الذي يتم على مستويين كما عرفنا فهو خاص بالكلام البشري وحدة : " الذي يساعد على تحقيق هذا المبدأ اللغوي (الاقتصاد اللغوي) هو التقطيع [(3)] المزدوج الذي يجعل الوظيفة التواصلية تتم بواسطة عدد محدود من الفونمات و المونيمات فإن تجزء المونيمات إلى فونيمات مما يتيح للانسان عند استعماله للغة التعبير عن آلاف المفاهيم المتنوعة وذلك من خلال الاعتماد على الوحدات الصوتية أي الفونمات والتي لايتعدة عددها في المألوف الخمسين صوتا تتحقق ميل الانسان بطبعة إلى الاقتصاد في مجال وجوده.

---

(2) الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية ، د مشال زكريا ، ص 44

(3) مبادئ اللسانيات البنيوية – الطيب دبة ، ص 109.

فالتقطيع الأول يظهر كنتيجة إلزامية للتوجه إلى الاقتصاد لأنه يفرض وجود المستوى التركيبي ويقول في ذلك اندريه مارتنيه : " واننا لنلاحظ ما يمثل هذا التقطيع الأول من اقتصاد ويمكننا أن نرتض نظاما من التبليغ قوامه تناسب وضع ما معين وظاهرة تجربة ما ، لصرخة خاصة ، لكنة بمجرد التفكير في ما لانهاية له من تلك الأوضاع وتلك الظواهر المتعلقة بالتجربة نفهم أن النظام يمكن أن يقوم بنفس المهام التي تقوم بها الألسن البشرية وإنه يجب أن يحتوي على عدد من الأدلة المتمايزة بقدر مهول لاتستطيع ذاكرة الانسان حفظه ، و إن بعض آلاف الوحدات مثل (رأس وجع وني وي) قابلة لسعة التأليف تمكننا من تبليغ عدد من الأشياء أكبر مما تمكننا منه ملايين الصرخات المختلفة وغير القابلة للتقطيع " [1] .

و التقطيع الثاني بحيث يرى اندريه أن " مبدأ الاقتصاد" في اللغة يبدو شكل واضح في التقطيع الثاني إذ يقول :" وهكذا نلاحظ ما يمثله التقطيع الثاني من اقتصاد فإن كان علينا أن نجعل لكل وحدة دالة دنيا ما يناسبها من انتاج صوتي خاص وغير قابل للتحليل فإنه يلزمنا أن نميز بين الآلاف منها ، وهذا ما لايتوافق مع القدرات النطقية ولا مع حاسة السمع للكائن البشري ، فبفضل التقطيع الثاني يمكن للألسن أن تكتفي ببعض عشرات من انتاجات صوتية متميزة نؤلف بينها لنحصل على صور صوتية لوحدات التقطيع الأول " [2] .

فالتقطيعات الأول و الثاني يوفران اقتصاد كبيرا في مجال الاتصال بين الناس ويكون ببذل أقل جهد ممكن في النطق ، وكما قال اندريه مارتنيه أنه من الممكن عن طريق ألاف قليلة من المونيمات انجاز العديد من الرسائل المختلفة ، كما يمكن تطبيق نفس الطريقة على البناء الثاني بناء اقتصادي حيث أنه :" مجموعة من الدست من الفونيمات تتيح للانسان أن يحفظ كل المونيمات مستقلة بعضها عن بعض بالقدر الذي يحتاجه ومن وجه نظر تنوع وغنى الاتصال الانساني فإن البناء المزدوج هي معالجة ضرورية للغات الانسانية " [3] .

إذا فالتقطيع المزدوج يساعد الذاكرة وينقص عليها الحمل الثقيل ، ويسهل بإقتصاد الجهد في ارسال و استقبال الرسائل .

---

[1]) مبادئ في اللسانيات العامة ، اندريه مارتنيه ، ص 18.
[2]) نفس المصدر ، ص 19.
[3]) اللغة و الاقتصاد ، فلوريال كولماس ، ترجمة أحمد عوض ، مراجعة عبد السلام عوض رضوان ، ص 308.

أولا : الإدغـــام : Assimilation :

1- مفهــوم الإدغـــام :

ƕøøƸ : عندما نقف عند معنى كلمة "دغم" نلحظ أنها جاءت بمعان مختلفة فنقول : دغم الغيث الأرض وأدغمها إذا غثيها وقهرها ، والدغم : كسر الأنف إلى باطنه هشما ، والأدغم من الوان الخيل التي تميل إلى سواد الوجه و الجحافل ، ويقال : أدغمه ا سود وجهه ، وقيل : الادغام : وجع في الحلق والإدغام : إدخال اللجام في أفواه الخيل [1].

lƟǗƯƬl : ذكر صاحب اللسان في معاني دغم : هو إدخال حرف في حرف ورجح الأزهر أن المعنى الاصطلاحي للادغام قد تداخل مع المعنى اللغوي و نحن نذهب إلى ما ذهب إليه الأزهري ، بل نقرر أن المعنى الاصطلاحي متأثر إلى حد كبير بالمعنى اللغوي [2]، بل مأخوذ منه كما يبدو جليا واضحا وقد عقب الرضي بعد أن ذكر المعنى اللغوي قال :" وليس إدغام الحرف في الحرف إدخال فيه على الحقيقة بل هو إيصاله به غير أن يفك بينهما [3] .

كما الƓƬƥǏوǅ فǆد ةالوا : إن الإدغام بالتشديد ، و الإدغام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين والخلاصة أن الإدغام في اصطلاح الصرفيين هو: أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل و يكون في المثلين و المتقاربين [4]، وعرفه آخره معتمدا على الظاهرة الصوتية قال : الإدغام هو رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة و وضعك إياه بهما موضوعا واحدا و هو لا يكون إلا في المثلين أو المتقاربين [5].

و ƥƗ ما وƼنا مƱ الǆوǏǅ الƏƓǅǏǅ : نلحظ أن المراد من الإدغام هو اتصال حرف ساكن بحرف مثله متحرك من غير فصل بينهما بحركة أو وقف ، فيصير الحرفان لشدة اتصالهما كحرف واحد وسماه سيبويه : الإدغام و الإخفاء حينا [6] لأننا نخفي حرفا بحرف آخر نحو : شد و عد.

---

[1]) أنظر لسان العرب مادة دغم وشرح الشافية 7/235/3 شرح الرضى 236/3.
[2]) لسان العرب مادة دغم و شرح "دغم" و المقتضب . المبرد 1 / 197 / 8 . شرح المفصل . ابن يعيش 10 / 122 .
[3]) شرح الثانية (3 / 235 / 9) المدخل في علم الصرف ' ص 20 .
[4]) المصدر نفسه 3 / 233 .
[5]) الممتع لابن عصفور 2 / 631 .
[6]) الكتاب سيبويه 4 / 450 .

ومعنى ذلك أننا أدخلنا الحرف الثاني في الحرف الثالث الذي يليه و وضعنا علامة التضعيف التي هي الشدة و دليلا على الإتمام بين الحرفين إذ يكون الأول ساكنا والثاني متحركا.

و يمكننا القول أن الإدغام هو نزعة صوتين إلى التماثل ، أي الإتصاف بصفات مشتركة تسهل اندماج أحدهما في الآخر ، ويقع ذلك خاصة في الحروف المتقاربة المخارج .

ويتم في حرفين و هما اللذان تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه وبينهما في الانفصال و تمكن القول أنه يتركب من تجاور صوتين متجانسين أو متقاربين ، أي أن أحدهما يفن في الآخر و هو ما اصطلح على تسميته في كتب القراءات "الإدغام " و يحدث بحدوث أكثر من نوع من التأثر .

أحسن ما يكون فيه الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواء إذا كانا منفصلين أن تتوالى خمسة أحرف متحركة بهما فصاعدا ، ألا ترă بنات الخمسة و ما كانت عدته .

و الهدف من الادغام هو التخفيف في النطق و التسهيل من عملية التواصل ، ويعتبر هذا اقتصادا في الجهد العضلي ، بحيث أنه يمكنك النطق بحرف واحد بدلا من حرفين مستقلين عن بعضهما ، فينطقان حرفا واحدا مشددا ، و بالتالي نجد أن اللسان في هذه الحالة يرتفع مدة واحدة لكن لصوتين اثنين .

2 – <u>أقســام الإدغـــام</u> :

قبـل أن نتحدث عن أقسام الإدغام يمكننـا القول أن الإدغام من الأبواب المتسعة في لغة العرب و وصفه أحد العلماء بأنه متسع ، و ذكر شارح الثانية في جزء كثير من كتابة كما تحدث عنه سيبويه بإطناب .

1- **ǀƷدƌ! ǎþخلة**: A régressive : و فيه تدغم الواو في الياء المجاورة لها إدغاما تأخري مثل: أيوا م => أيام [(1)].

2- **ǀƷدƌ! المتلالنƨǏǅ** : A de deux consonnes smilaires [(2)]: أي إدغام حرفين لهما نفس المخرج ولكن ليس نفس الصفات.

3- **ǀƷدƌ! þاااƴي** : إدغام صغير – إدغام تقديمي – إدغام تقريب .

---

[1]) المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية –د محمد رشاد الحمزاوي (معجم) .

[2]) طب ص 61 .

4- **الإدغام بالغنة** : [1] إدغام النون إدغاما ناقصا وهو فناء النون مع بقاء ما يشعر بها، و هو الذي اصطلح على تسمية الإدغام بالغنة فقد تقي النون تاركة وراءها نوعا من الغنة وذلك عند مجاورتها للياء و الواو فإذا أولي النون المشكلة بالسكون ياء أو واو لشدت الياء أو الواو ثم سمح عند النطق بهما أن يتخذ الهواء مجراه في طريقين معا هما الفراغ الأنفي و الفم و هذه ما اصطلح المحدثون على تسمية nazahzation مثل من يقول من وال .

5- **الإدغام [illegible]** : A ad stance: و فيه يفصل بين الصوتين المتجانسين أو المتقاربين صوت بين قصير أو إدغام حرفين تفصل بينهما حركة و يقع الإدغام في هذه الحالة بسقوط أي حذف الحركة (أي بذهاب مقطع من مقاطع الكلمة) أولا ثم بإدغام أحد الحرفين في الآخر .

6- **الإدغام المتماثل**: A- de deux consonnes identique : إدغام حرفين لهما نفس المخرج ونفس الصفات .

7- **الإدغام الناقص** : A incomplète : وفيه لايتم فناء أحد الصوتين بل يترك الصوت بعد فنائه أثرا يشعر به كما هو الحال في الادغام مع الغنة [2].

8- **الإدغام الكامل** : A totale : إذا لم نلحظ أثر للصوت بعد فنائه أسموه إدغاما كاملا أو فناء كاملا .

9- **الروم** : Rawn : أباح القراء قصر صوت اللين في حالة الوقف بما سموه الرّوم فبدلا من الوقف بالسكون على أواخر الكلمات أباح القراء الوقف بنفس الحركة بعد تقصيرها إلى الصوت لين قصير جدا لايكاد يسمع إلا عن قرب [3].

فالقراء يسمحون بالوقف كقوله في سورة الفاتحة "نستعين" بضمة قصيرة جدا ويسمون هذه الظاهرة الوقف مع الرّوم ، وكما يكون الروم مع الضمة يكون أيضا مع الكسرة والفتحة .

وقد وجد ثلاثة أقسام كبيرة للادغام وهي :

---

[1]) صبق ص 40 .

[2]) بن ، ص 134.

[3]) بن ، ص 107.

10- **الإدغام الممتنع** : ويأتي في الحالات التالية :

أ-إذا تحرك أول الحرفين وجاء الثاني ساكنا نحو قولك في : "عدّ" فعند اسنادها لضمائر الرفع المتحركة تقول : عددت وعددنا والنساء عددن وظللت وظللنا والنساء ظللن ، وقد روي سيبويه عن الخليل أن ناسا من بكر بن دائل تدغم وهذه لغة ضعيفة [1].

ب- إذا تحرك ثاني الحرفين وجاء الأول ساكنا وذلك عكس القاعدة الأولى بشرط أن يكون الأول الحرف الثاني "هاء السكت" وذلك نحو قوله تعالى :" ما أغنى ماليه هلك عني سلطانيه " [2] لأن الوقف منوي على هاء السكت خاصة وروي عن ورش بأنه أدغمها على غير قياس .

ج- إذا كان أحد الحرفين مدة في الآخر نحو : يدعو ياسر ، وقولهم يدع قد ويعطي ياسر فنلحظ أن الواو في يدعو جانس، [3] لواو في واقد وكذلك الياء في يعطي جانس الياء في ياسر ولذلك امتنع الادغام خوفا من زوال المد المقصود .

د-إذا كان أول المثلين همزة مفصولـة من فاء الكلمة مثل :" لم يقرأ أحد" فلو كانت متصلة لوجب الادغام [4].

ح-إذا كان أحد المثلين حرفا للمضارع وجاء مزيدا للفعل الرباعي[5] نحو : "رأيت السيارة تتدحرج والأرض تتزلزل" وإذا كان الحرف الثاني من المثلين مزيد للالحاق فيتمتع الادغام أيضا نحو ، قولك : جلبب وقردد" [6] وشملل وبعض أوزان الجموع مثل دُرَر وسُرُر [7] وطلل أو كان المثلان في صدر اسم نحو : ددن [8] ومعناه الدأب والعادة وقيل : اللهو .

خ- يمتنع الادغام في "أفعل في التعجب" نحو قولك "أحببت" يزيد وأشدد بياض وجهه [9].

---

[1]) شرح الأستموني ، 896/3
[2]) سورة الحاقة ، الآية 28 – 29 .
[3]) همع الهوامع ، السيبوطي ، 225/2 بتصرف.
[4]) شرح المفصل المبرد ، 122/10.
[5]) المحيط للانطاكي ، 126/1.
[6]) شرح الشافية ، صلاح الدين الشلبي ، 234/3.
[7]) المرجع نفسه ، 234/3.
[8]) شرح الاشموني ، 890/3.
[9]) شرح ابن عقيل ، تقي الدين ، 591/2.

1-3- واجب الادغــام :

1- إذا كان المثلان في كلمة واحدة وفي نهاية فعل يتجاوز الثلاثة أحرف ولم يكن البناء مخالفا لبناء الفعل نحو : ردّ و سدّ وظنّ ولبّ والأصل ، ردد وضنن ولبب [1].

2- يجب الادغام في الماضي المضعف إذا اسند إلى اسم ظاهر أو ضمير مستتر أو ضمير رفع متصل ساكن وذلك ألف الاثنين و واو الجماعة أو اتصلت به تاء التأنيث نحو قولك "مدّ الطالب يده وملّ عليّ القراءة " . فقد اسند الفعل المضعف إلى اسم "الطالب وعليّ " .
وتقول مع ألف الاثنين :" المحمدان مدّا وحفّا وملّا " وتقول مع واو الجماعة : الزيدون مدّوا وخفّوا وملّوا " وتقول مع تاء التأنيث :" سدّت فاطمة وحفّت وملّت " [2].

3- يجب ادغام المضارع المضعف إذا أسند إلى ضمير بارز ساكن وذلك "ألف الاثنين و واو الجماعة وياء المؤنثة المخاطبة مجزو ما كان أو غير مجزوم أو أسند إلى اسم ظاهر أوضمير مستتر ولم يكن مجزوما وجب فيه الاسناد ، تقول :المحمدان يمدان ويخففان ويملان ولن يمدا ولن يخفا ولن يملا / ولم يمدا ولم يخفا ولم يملا. ويقول :المحمدون يمدون ويخفون ويملون/ولن يملوا ولم يمدوا وتقول :" أنت تملين يازينب" ولن تملي ، ولم تملي وكذلك تقول : يملّ زيدٌ ومحمد يملّ ولن يملّ ، قال تعالى :" سنشدّ عضدك بأخيك " وفي الحديث ولن يمل حتى تملّوا " [3]. أما أمره فهو كما يلي إذا أسند إلى ضمير ساكن وجب فيه الادغام نحو : مدّوا و مدّا و مدّي .

4- يجب الادغام في اسم الفعل "هلمّ" [4] وذلك بإجماع لثقلها في التركيب ولم يخيروا فيه ما أجازوه في آخر ردّ وشدّ سوى بعض الشذوذ في لغات العرب .

5- يجب الادغام في المتقاربين وذلك في ادغام لام التعريف في الحروف الشمسية نحو:الشّمس التّفاح التّاجر وقد أدغم اللام مع الشين والقياس في هذه الحالة أن تحذف اللام إلا أن العرب كتبتها.

---

1) المصدر نفسه ، 587/2.
2) المصدر نفسه ، 610/2 وشرح الأشموني ، 896/3.
3) شرح ابن عقيل ، على ألفية ابن مالك محمد بن يحي عبد المجيد ، 589/2.
4) المرجع نفسه ، 591/2 هلم اسم فعل عند أهل الحجاز وفعل عند بني تميم وانظر قطر الندى ، 40/1 وشرح الأشموني ، 898/3.

2-3- جائــز الادغــــام :

1- إذا كان الفعل مبدوءا بتاء من نحو : تتجلى يجوز فيه الفك ، والادغام فمن فك فهو القياس نظرا إلى أن المثلين مصدرأن ومن أدغم أراد التخفيف فيقول اتجلى فيدغم أحد المثلين في الآخر فتسكن احدă التاءين بثبوت همزة الوصل توصلا للنطق بالساكن وكذلك قياس تاء اشتد الفك لسكون ماقبل المثلين ويجوز الادغام فيه بعد نقل حركة أول المثلين إلى الساكن نحو : ستر يستر[1].

2- إذا كان الفعل مضارعا مضعفا مجزوما بالسكون أو أمرا مبنيا عليه جاز الادغام والفك لم يشد ولم يمل ولم يخف ولم تشدده كلم يملل يخفف والفك من لغة أهل الحجاز كقوله تعالى :" إن تمسسكـم حسنـة " " من يحلل عليه غضبي فقد هوă" ، " وأغضض من صوتك " وجاء على لغة تميم "ومن يرتد" ، " ومن يشاق ا ورسوله " . وقد قرأت الآية الكريمة بالفك :" ومن يرتدد منكم عن دينه " .

3- يجوز ادغام المثلين مما عينه ولامه ياء لازم تحديكهما في اواحد فيها لوروده نحو : حي وعي فتقول : عيّ وحيّ مدغما فمن أدغم نظر إلى أنهما مثلان في كلمة وحركة ثانيهما لازمة وحق ذلك الادغام .

4- إذا اتصل آخر الفعل المدغم من المجزوم وشبهه بهاء الغائبة وجب فتحه نحو : ردها ولم يردها .وإذا اتصل به الغائب وجب ضمه نحو : رده ولم يرده وان اتصل بآخر الفعل ساكن فاكثر العرب تكسره : كرا ، القوم وبنو أسد تفتحه تخفيفا وحكى ابن جني الضم ورواă بهن قول الشاعر :

فغـض الطرف إنك من نميـر *** فلا كعبـا بلغـت ولا كلابـا [2].

فقد روي بضم الضاد وفتحها وكسرها طبقا للغات المسموعة عن العرب .

---

[1]) المرجع نفسه / 589/2

[2]) انظر الخصائص ، ابن جني ج4

الراء مع اللام : كقولك اشغل رجبة[1] لقرب المخرجين ولأن فيهما انحرافا نحواللام قليلا وقاربتها في طرف اللسان ، وهما في الشدة وجري الصوت سواء ، وليس بين مخرجيهما مخرج والادغام أحسن ومثال ذلك قوله تعالى :" قل إن كنتم تحبون ا فاتبعوني يحبيكم ا ويغفرلكم ذنوبكم" [2] والادغام هنا واضح لأنه حدث اتحاد في الصفة فكلاهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة حيث لايكاد يسمع للراء حفيف ، مثلها في ذلك مثل أشباه أصوات اللين التي منها اللام ، لأن الراء في نظر المحدثين من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ، لهذا فهي تشبه اللام والنون والميم التي تعتبر حلقة وسطى بين أصوات اللين والأصوات الساكنة ، وكل الذي يتطلبه إدغام الراء في اللام وهو ترك التكرار المختصة به الراء.

أما اللام فلكثرة شيوعه في اللغة العربية ، طرأ عليه مالم يطرأ على غيره من الأصوات الساكنة إذ نلحظ سرعة تأثره بما يجاوره من الأصوات ، وميله إلى الفناء في معظم أصوات اللغة، فلام التعريف كما يقول " المبرد" في " المقتضب" تدغم في ثلاثة عشر صوتا ولا يجوز في اللام معهن إلا الادغام ، فإن كانت اللام غير لام المعرفة جازا دغامها في جميع هذه الأصوات الثلاثة عشر وكان في بعض أحسن منه في البعض الآخر [3].

ولقد رويت لنا اللام التي ليست للتعريف مدغمة في الأمثلة القرآنية في عشرة أصوات فقط هيء ، الراء – التاء – الثاء – الزاي – السين – الضاد – الطاء – الظاء – النون – الذال وأمثلتها من القرآن الكريم هي كمايلي :

قالوا " يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك " والادغام هنا كبير يشترط فيه أن يكون ماقبل الصوت المدغم متحركا.

---

1) ط ، ب : "رجبة " بالجيم.
2) سورة الأحقاف ، الآية 29.
3) انظر كتاب سيبويه.

" وقل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا با " .[1]

قوله تعالى : " هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون".[2]

وقوله تعالى :" بل زين للذين كفروا مكرهم" .[3]

وقوله تعالى :" بل سولت لكم أنفسكم أمرا " .[4]

وقوله تعالى :" بل ضلوا عنهم الأحقاف" .[5]

وقوله تعالى :" بل طبع ا عليها بكفرهم" .[6]

وقوله تعالى :" بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا".[7]

وقوله تعالى :" بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه " [8].

وقوله تعالى :" ومن يفعل ذلك فليس من ا في شيء " [9].

والذي يبرر ادغام اللام في كل هذه الأصوات أن اللام اكثر الأصوات الساكنة شيوعا في اللغة العربية ونسبة شيوعها حوالي167 مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة، ولاشك أن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضا للتطور اللغوي من غيرها ، بالإضافة إلى ذلك أن جميع الأصوات التي يتم فيها ادغام اللام تندرج تحت تلك المجموعة الكبرة من الأصوات المتقاربة المخارج النون تدغم مع الراء لترب المخرجين على طرف اللسان وهي مثلها في الشدة ، وذلك قولك من راشد وظن رأيت ، وتدغم بغنة وبلاغنة.

وتدغم النون في اللام لأنها قريبة منها على طرف اللسان وذلك قولك : من لك فإن شئت كان ادغاما بلاغنة فتكون بمنزلة حروف اللسان ، وإن شئت أدغمت بغنة لأن لها صوتا من الخياشم فترك على حاله ، لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشم نصيب فيغلب عليه الاتفاق .

---

[1]) المائدة الآية 59
[2]) المطففين الآية 36
[3]) الرعد الآية 33
[4]) يوسف الآية 83
[5]) الأحقاف الآية 28
[6]) النساء الآية 156
[7]) الفتح الآية 48
[8]) سورة الأنبياء الآية 18.
[9]) سورة آل عمران الآية 68.

وتدغم النون مع الميم لأن صوتهما واحد، وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي توجد في الصوت حتى أنك تسمع النون كالميم ، والميم كالنون ، حتى تبين ، مضارعا بمنزلة اللام والراء : في القرب ، وإن كان المخرجان متباعدين إلا أنهما اشتبها لخروجهما جميعا من الخياشم.

تدغم النون مع الواو بغنة وبلاغنة لأنهما من مخرج ما أدغمت فيه النون، وإنما منعها أن تقلب مع الواو ميما أن الواو حرف لين يتحافى عنه الشفتان والميم كالباء في الشدة والزام الشفتين .

وتدغم النون مع الياء بغنة وبلاغنة لأن الياء أخت الواو وقد تدغم فيها الواو فكأنها من مخرج واحد ، ولأنه ليس مخرج من طرف اللسان أقرب إلى مخرج الراء من الياء .

وتقلب النون مع الياء ميما لأنها من موضع تعتل فيه النون ، فأرادوا أن تدغم هنا إذا كانت الباء من موضع الميم، كما أدغموها فيها قربها من الراء في الموضع، فجعلوا ما هو من موضع النون باء لبعدها في المخرج وأنها ليست فيها غنة، ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم وذلك قولهم : [illegible] ويريدون : [illegible] ، وشمباء وعمبر ويريدون شنباء وعنبر .

ولا تدغم النون مع حروف الحلق البتة ولم تقو هذه الحروف على أن تقلبها .

وتكون ساكنة مع الميم إذا كانت من نفس الحروف : بنية – كنية – منية – قنية – قنواء .

وأما اللام فقد تدغم فيها ، وذلك قولك : هنوǎ ، فتدغم في النون والبيان أحسن لأنه قد امتنع أن يدغم في النون مادغمت فيه سوǎ اللام ، فكأنهم يستوحشون من الإدغام ، ولم يدغموا الميم في النون لأنها لا تدغم في الياء التي هي من مخرجها ومثلها في الشدة ولزوم الشفتين ، فكذلك لم يدغموها فيما تقاوت مخرجه عنها ولم يوافقها إلا في الغنة.

واللام التي ليست للمعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا لا يجوز فيها معض إلا الإدغام وكثرة موافقتها لهذه الحروف ، واللام من طرف اللسان والحروف هي : النون – الراء – الدال – التاء – الصاد – الطاء – الزاي – السين – الظاء – الثاء – الذال [1].

---

[1]) الكتاب سيبويه ، ص 202

فإذا كانت غير لام المعروفة نحو ، لام هل وبل فإن الإدغام في بعضها أحسن وذلك قولك : هرأيت لأنها أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها فضارعتا الحرفين الذين يكونان من مخرج واحد إذ كانت اللام حرف أشبه بها منها ولا أقرب . كما أن الطاء ليس حرف أقرب إليها ولا أشبه بها من الدال، وإن لم تدغم فقلت : هل رأيت فهي لغة أهل الحجاز وهي عربية جائزة .

وهي مع الطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين جائزة وليس ككثرتها مع الراء لأنهن قد تراخين عنها ، وهن من الثنايا وليس منهن الخراف [1].

وهي مع الظاء والتاء والذال جائزة، وليس كحسنة مع هؤلاء، لأن هؤلاء من أطراف الثنايا وقد قاربن مخرج الفم .

ويجوز الادغام ، لأنهن من الثنايا كما أن الطاء وأخواتها من الثنايا وهن من حروف طرف اللسان كما أنهن منه.

وإنما جعل الإدغام فيهن أضعف وفي الطاء وأخواتها أقوى لأن اللام لم تسفل إلى أطراف اللسان كما لم تفعل ذلك الطاء وأخواتها ، وهي مع الضاد والشين أضعف ، بأن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان والشين من وسطه ، ولكنه يجوز إدغام اللام فيهما . يقول طريف بن تميم :

تقـول إذا استهلكـت مالا للذة *** فكيهـة هشـيء بكفيـك لائـق .

يريد : هل شيء فأدغمت اللام في الشين .

وقرأ أبو عمرو : "هثّوب الكفار "[2] يريد : هل ثوب الكفار ، فأدغم في الثاء.

---

1) المصدر نفسه ، ص 204.

2) سورة المطففين ، الآية 36 .

4- الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد :

والحروف التي تكون متقاربة في المخارج فإذا أدغمت فإن حالها حال الحرفين الذين هما سواء في حسن الادغام ، وفي هذه التي يجوز فيها الإدغام فإنه يزاد فيه البيان ولايجوز فيه الاخفاء وحده ، وفيما يجوز فيه الاخفاء و الإسكان.

ومن الحروف مالا يدغم في مقاربه ولايدغم فيه مقاربه كما لم يدغم فيه مقاربه كما لم يدغم في مثله : ومن الحروف التي يتم فيها الإدغام مع المقاربة .

- **blΘll Uم blǋll** : كقوله : اجبه حملا ، والإدغام في حروف الحلق عربي حسن لقرب المخرجين إذا خالفتهما فيما ذكر ، ولم تكن حروف الحلق أصلا للادغام .

- **Ljjlوŝl blǋll Uم Džĭyǁl** : اقطع صلالا : فوقع الإدغام لقرب المخرجين ، ولم تقو عليها العين إذ خالفتها فيما ذكر ، ولم تكن حروف الحلق دوما أصلا للادغام [1].

- **blا الخا Uم DžĭƐl** : البيان أحسن والإدغام حسن . وذلك قوله : ادمخلفا ، وذلك لأن الغين مجهورة وهما من حروف الحلق وقد خالفت الخاء في الرخاوة والهمس ولقد جاز الإدغام فيهما لأنه المخرج الثالث، وهو إدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان ألا ترى أنه يقول بعض العرب : منخل و منغل فيخفي النون كما يخفيها مع حروف اللسان والفم لقرب هذا المخرج من اللسان ، وذلك قولك في اسلم غنمك : اسلخنمك ويدلك على حسن البيان عدتها في باب رددت.

- **الكاع مع الااع اوŝل pl** : الحق كلدة . الإدغام حسن والبيان حسن وقد تم الادغام في هذه الحالة كما نرى لقرب المخرجين ، وبالإضافة إلى أنهما من حروف اللسان ، وهما متفقان في الشدة ، والكاف مع القاف : انهك قطعا ، والبيان أحسن لأن مخرجهما مما المخرجه الأقرب مخارج اللسان إلى الحلق فشبهت بالخاء مع العين كما تم تشبيه أقرب مخارج اللسان بحروف اللسان وذلك فيما ذكر من البيان والإدغام [2].

---

[1] الكتاب سيبويه ، ص 446.
[2] المرجع نفسه ، ص 447.

- **اللŸ! مـ ال ʅŸžD** : كقوك ابعج شيئا و هنا نلاحظ أن كلامن الإدغام والبيان حسنان لأن الحرفين كما نلاحظ هما من وسط اللسان مثل قوله تعالى :" ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل[1] كزرع أخرج شطأه " ويتم الإدغام في هذه الحالة بفقدان الجيم لجهرها ، ثم تزداد رخاوتها وبذلك تماثل الشين في المخرج والهمس و الرخاوة [2].

مـا التاb فدš njþ5 lNJǴ : " تؤثرون الحياة الدنيا" [3] فأدغم اللام في التاء . والنون إدغامها فيها أقبح من جميع هذه الحروف ، لأنها تدغم في اللام كما تدغم في الياء والواو والراء والميم فلم يجسروا على أن يخرجوها من هذه الحروف التي شاركتها في إدغام النون وصارت كأحدها في ذلك .

5- الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا .

الطاء مع الدال كقوله : اضبد لما ، لأنهما من موضع واحد ، وهي مثلها في الشدة ، إلا أنك قد تدع الأطباق على حاله فلا تذهبه لأن الدال ليس فيها إطباق ، فإنما تغلب على الطاء لأنها من موضعها ولأنها حصرت الصوت من موضعها كما حصرته الدال . فأما الإطباق فليست منه في شيء ، والمطبق أفشى في السمع ، ومثل ذلك إدغامهم النون فيما تدغم فيه بغنة .

وتصير الدال مع الطاء وذلك كقولك : انقطا لبا [4]، وكذلك التاء وهو قولك : انعطالبا لأنك تجحف بهما في الاطباق ولا في غير .

وكذلك تحدث للتاء مع الدال ، والدال مع التاء ، لأنه ليس بينهما إلا الهمس والجهر ليس في واحد منهما اطباق ولا استطالة ولا تكرير .

---

[1]) سورة الفتح الآية 29.
[2]) الأصوت اللغوية ، ابرهيم أنيس ، ص 195.
[3]) الآية 16 سورة الأعلى وكلمة "بها" ساقطة من ط – وقراءة الادغام هذه لحمزة والكساني وهشام.
[4]) أ . ب " أنقد طابا ".

والتاء والدال سواء ، كل واحدة منهما تدغم في صاحبتها حتى تصير التاء دالا والدال تاء لأنهما من موضع واحد ، وهما شديدتان ليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس ، وذلك قولك : انعت لا ما [1] وانقد تلك [2] فتدغم ولو بنيت فقلت : اضبط دلا ما ، واضبط تلك ، وانقد تلك ، وانعت دلا ما لجاز.

وقصة الصاد مع الزاي والسين كقصة الطاء والدال والتاء ، وهي من السين كالطاء من الدال لأنها مهموسة مثلها ، ولا يفرق بينهما إلا الإطباق وهي من الزاي كالطاء من التاء لأن الزاي غير مهموسة ، وذلك قولك : افحسا لما فتصير "سينا" وتدع الإطباق على حاله وإن شئت اذهبته وتقول : افحزردة [3] . وان شئت اذهبت الإطباق ، وإذهابه مع السين أمثل قليلا ، لأنها مهموسة مثلها وكله عربي .

وحكاية الطاء والذال والثاء هي أيضا مع الذال كالطاء مع الدال لأنها مجهورة مثلها ، وليس يفرق بينهما إلا الإطباق ، وهي من الثاء بمنزلة الطاء من التاء ، وذلك قولك : احفذلك فتدغم ، وتدع الإطباق أن شئت أذهبته ، وتقول : احفثابتا [4] ، وان شئت أذهبت الإطباق ، وإذهابه مع الثاء من الطاء مع التاء .

وإذا أدغمت الذال والثاء فيهما انزلتهما منزلة الدال والتاء إذا ادغمتهما في الطاء . وذلك قولك خذ ظالما : خظالما و ابعظالما [5] .

والطاء والدال والتاء يدغمن كلهن في الصاد والزاي والسين لقرب المخرجين لأنهن من الثنايا وطرف اللسان، وليس بينهن في الموضع إلا أن الطاء وأختيها من أصل الثنايا وهن من أسفله قليلا مما بين الثنايا، وذلك قولك : ذهبسلمى، وقسمعت فتدغم، واضبرزردة فتدغم وقولك، وانعصا برا فتدغم، وسمعناهم ينشدون هذا البيت لابن عقيل :

---

[1] أ . ب " ذهبت سلمى وقد سمعت" .
[2] أ . ب "أنقذ تلك ".
[3] أ " أفحص زردة " : ب.د. امحص زردة.
[4] أ . ب " احفظ ثابتا " .
[5] أ . ب خذ ظالما وابعث ظالما .

فكأنمـا اغتبتصبيـ ـر غمامـة *** بعرا تصفقـة الريـاح زلالا [1] .

فأدغم التاء في الصاد، وقرأ بعضهم :" لا يسّمّعون [2]" يريد: لا يسمعون ، والبيان عربي حسن لاختلاف المخرجين .

وقد تدغم الطاء و الدال والتاء في الضاد لأنها اتصلت بمخرج اللام و تطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول اللام من الأسنان ، ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها ، لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين ، فلما قاربت الطاء فيما ذكرت فأدغموها فيها كما ادغموها في الصاد وأختيها وذلك قولك ، اضبصرزمة وانعضرمة وسمعنا من يوثق في عربيتهم : ثار فضجضجة ركائبه .

وتدغم الطاء والدال والتاء في الشين لاستطالتها حين اتصلت بمخرجها وذلك قولك : اطبشبثا ، انعشبثا ، وانقشبثا .

والإدغام في الضاد أقوى لأنها قد خالطت باستطالتها الثنية وهي مع "ذا" مطبقة ، ولم تجاف عن الموضع الذي قربت فيه من الطاء تجافيها ومايحتج به في هذا قولهم ، عاوشّنباء فادغموها .

وتدغم الظاء والذال والتاء ، لأنهم قد أنزلوها منزلة الضاد ، وذلك قولك : اخفشنباء ، وابعشنباء ، وخشنباء ، والبيان عربي جيد ، وهو أجود منه في الضاد ولبعد المخرجين وأنه ليس فيها إطباق ولا ما ذكرت لك في الضاد .

والضاد بمنزلة الصاد وذلك لإستطالتها ، كالشين وذلك قولك : مضطجع ، وإن شئت قلت : مضجع .
وقد شبته العرب ممن ترضى عربيته هذه الحروف الأربعة : الصاد والضاد والطاء والظاء في فعلت بهن في افتعل لأنه يبني الفعل على التاء ويغير الفعل فسكن اللام كما أسكن الفاء في افتعل ، ولم تترك الفعل على حالة في الاظهار ، فضارعت عندهم افتعل وذلك قولهم : فحصط برجلي ، وحظط عنه ، وخبطّه ، وحفطّه يريدون : حصت عنه ، وخبطته وحفطته وقد سمعناهم ينشدون هذا البيت لعلقمة بن عبيد :

---

[1]) والشاهد هو ادغام التاء من (اعتبقت) في صاد (صبير) لأن التاء والصاد من طرف اللسان والادغام فيها أكثر .
[2]) سورة الصافات الآية 08 وهي قراءة حمزة والكسائي وقراء الجمهور (لايسمعون بالتخفيف) .

وفـي كل حيٍّ قد خبطتَ بنعمـة *** فحـق لشـأسٍ من نداك ذنـوبُ [1] .

روت كتب القراءات أن صوت الباء يجوز ادغامه في الميم والفاء مثل قوله تعالى : " يابني اركب معنا ولاتكن مع الكافرين " وقوله أيضا :" وإن تعجب فعجبٌ قولهم أ أيذا كنا ترابا لفي خلق جديد " .

أما إدغام الباء في الميم فيبرزه من الناحية الصوتية أن مخرج كل منهما الشفتان كما تم ذكره آنفا – وأنه لا فرق بين الباء والميم إلا في أن الهواء مع الأولى يتخذ مجراه من الفم ، ومع الثانية يتخذ مجراه من الأنف ، فعلية الإدغام هنا هي عبارة عن انتقال الصوت الأول مابين أصوات الفم إلى نظير له بين أصوات الأنف .

أما إدغام الباء في الفاء ، فأقل شيوعا لأنه يستلزم أولا قلب الباء وهي مجهورة إلى نظيرها المهموس وهو الصوت الشائع في اللغات الأوروبية والذي يرمز له بالرمز (P) وهو صوت شديد انفجاري مخرجه الشفتان ، وإذا لم ينحبس معه النفس وأصابته صفة الرخاوة بأن يسمع له صفير انقلب قريب الشبه جدا بالفاء ، لأنها رخوة مهموسة وبهذا يتم الإدغام ، فعملية الإدغام هنا تبدأ أولا بهمس الباء لتشبه الفاء المهموسة ، ثم يلي هذا أن يسمح للهواء معها بالمرور بحيث يحدث حفيفا أو صفيرا لكل الأصوات الرخوة ، فإذا تم هذا للباء صارت كالفاء في كل الصفات مخرجا وصفة ، وهو ما يبرر هذا النوع من الإدغام [2].

أما صوت التاء فهو يدغم في عدة أصوات لكن الإدغام يكون صغيرا في كل من الأصوات التالية مع الأمثلة القرآنية التالية :

يتم ادغام التاء مع الثاء في مثل قوله تعالى :" ألا بعد المدين كما بعدت ثمود" [3] .

وقد تم في هذا الإدغام عمليتان : الأولى أن نسمح للهواء مع التاء بالمرور لتصبح رخوة كالثاء والثانية أن مخرج الصوت الأول قد انتقل إلى الأمام متجها مخرج الأصوات المسماة باللثوية ، وبها ماثل الصوت الأول الصوت الثاني كل المماثلة فتم الإدغام .

---

[1]) الشاهد ابدال التاء من "خبطت" طاء لمجاورتها الطاء ولمناسبتها لها في الجهر والإطباق وهذا مضطر في تاء مفتعل للزومها.
[2]) الأصوات اللغوية ، ابراهيم أنيس ، ص 191.
[3]) سورة هود الآية 59.

تدغم التاء بالجيم مثل قوله تعالى :" كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها : [1] وفي هذا الموضع جهر أولا بالتاء فصارت "دالا" ثم انتقل مخرج الدال من أصول الثنايا العليا إلى وسط الحنك ، وبهذا التقى بالجيم لأنها أقرب اسواط وسط الحنك إلى الدال في الصفة وبهذا تم الإدغام [2].

ويتم الإدغام مع الظاء مثل قوله تعالى :" ومن البقر والغنم حرمنـا عليكم شحومها إلا ما حملت ظهورها" [3]. وهنا جهرنا أولا بالتاء فصارت دالا، لأن الصوت الثاني أي الظاء صوت مجهور ثم سمح للهواء معها بالمرور فصارت رخوة ، ثم انتقل مخرجها إلى الأصوات المسماة باللثوية ، وبهذا صارت "ذالا" ولافرق بين الذال والظاء إلا في أن الصوت الثاني من اصوات الإطباق ، فالإدغام هنا له ما يبرره من الناحية الصوتية .

إدغام التاء مع السين مثل قوله تعالى : " وجاءت سيارة" [4] وكل الذي حدث في هذا الإدغام هو أن سمحنا للهواء بالمرور مع التاء فأصبحت رخوة وبهذا أشبهت كل المشابهة للسين في رخاوتها وهمسها فتم الإدغام .

إدغام التاء بالصاد مثل قوله تعالى :" أو جاء وكم حصرت صدورهم" [5] ، أصاب التاء هنا ما أصابها في المثال السابق مع السين ، فحين سمح للهواء معها بالمرور وصارت رخوة ، اشبهت السين كل المشابهة وليس هناك فرق بين السين والصاد ، إلا في أن الثانية مطبقة ، وهكذا تم الإدغام بين التاء والصاد .

إدغام الزاي مع التاء مثل قوله تعالى :" مأواهم جهنم كلما خبست زدناهم سعيرا" [6] وهنا جهر بالتاء أولا فصارت "ذالا" لأن الزاي مجهورة [7] ثم سمح للهواء معها بالمرور فأصبحت رخوة تحدث عند النطق بها صفيرا كالزاي ، وبذلك جاز إدغامها في هذا الموضع .

---

[1]) سورة النساء الآية 56.
[2]) الأصوات اللغوية ، ابراهيم أنيس ، ص191.
[3]) سورة الأنعام ، الآية 166
[4]) سورة يوسف ، الآية 19.
[5]) سورة النساء ، الآية 90.
[6]) سورة الإسراء ، الآية 97.
[7]) الأصوات اللغوية ، لإبراهيم أنيس ، ص 192.

كما رأينا مما سبق أن الإدغام هو وصل حرف ساكن بحرف مثله متحرك ومن غير الفصل بينهما ويعتبر كذلك وقفا ، ويصبح الحرفان لشدة تشابههما كالحرف الواحد نحو : شدّ ومدّ . ويصبحان من مخرج واحد والعرب تلجأ كثيرا إلى ادغام الحروف التي تكون من مخرج واحد أو تكون متقاربة في المخارج ، وذلك طبعا لتسهيل عملية الإدغام بين الحروف .

وطبعا نعرض كيف يمكن لهذا الإدغام أن يخدم موضوعنا وهو الإقتصاد والإيجاز والاقلال من التبذير اللغوي والجهد العضلي إن صح التعبير .

فإنك إن تحدث وكان حديثك جله مملوءا بالحروف المدغمة فإنك تلاحظ أن هذه الحروف خفيفة سهلة يسرة ، بل بالإمكان أن تتحدث ، أو تشعر ماشئت لأنك تنطق بالمثلين واحدا ، ولا تلجأ إلى تعداد مخارج الحروف بل إنك بواسطة هذا الإدغام يمكنك أن تعتمد على مخارج سهلة ولحروف متعددة ومتقاربة ، وخاصة في حياتنا العصرية فإنه كلما كان الكلام خفيفا بسيطا وسهلا ولا تعقيد فيه كان ذلك أسهل.

إذن فإن هذا الإدغام هو إيجاز لما يمكن اطنابه وهو نبل لأبسط جهد مهما كان نوع هذا الجهد .

والتناظر الوظيفي للحروف قد أيدته أيضا العلاقة التي تربط بين تعدد المعنى وتكرار وقوع الحروف المدغمة ، وكذلك الحروف الإملائية في التناظر والوظيفة وتماثل مخارج الحروف ومعاينها وتماثل الحروف التي تتقارب في المخارج ، والآن يكون مدهشا بشدة أن الكلمات التي تحوي حروفا مدغمة لها الأولوية في تكرارها وخاصة الحروف التي يكثر إدغامها ، أكثر من الحروف التي تكون متباعدة المخارج وتكون صعبة الإدغام ، وكلما كان الإدغام سهلا ، وكلما كانت الحروف سهلة الإدغام ، فكانت كثيرة الترداد .

وهنا نقول أن الارتباط الإحصائي بين عدد الحروف المدغمة وبين التكرار النسبي لوقوعها هو دالة ثابتة مع عدد الكلمات التي تحوي هذا الإدغام.

فالإدغام هنا يخدم اقتصادنا اللغوي كثيرا ، وخاصة في عملية الاتصال فإنه يخدمها كثيرا ، فيمكن تصنيف هذا الإدغام من أفضل مبادئ الجهد الأقل ، وهو يزيد من أرباح الجهد والتقليل منه ، والذي يسببه استعمال كلمة تحوي حروف مدغمة بشكل متكرر .

وهنا نلحظ ميزة لغوية وهو الميل إلى استعمال الصيغ أو المفردات التي تحوي الإدغام وفيها عدد قليل من الحروف وهو طبعا سمة للاقتصاد اللغوي وخادم كبير له . وهذا طبعا يرفع قابلية اللغة لاستخدام الإدغام وميلها للاتكال عليه في التقليل من الجهد المبذول التخلص من التكرار المشين لها .وهذا الميل يعبر عن نفسه بحقيقة أن الكلمات ومهما كانت أدوارها في اللغة متعددة إلا أنها تعمد إلى هذا الإدغام كيفما كان .

وعلى العموم فإن استغلال هذا الإدغام والتوسع فيه و المحاولة من جعله في جميع التنظيمات اللغوية لأنه تبسيط واختصار ، لأن هذا الاختصار أو الاقتصاد هو جانب يخدم احتياجات مستعملي الاتصالية ، وبواسطة هذا الإدغام يمكن تركيب مفردات لغة معينة خاصة العربية ، وكذلك تأليف مجموعة نصوص معينة تكون بالشكل الذي يمكن به الوفاء بالاحتياجات الاتصالية ببذل أقل قدر من الطاقة ، واكتمال هذه الخاصية هو في مصلحة ضمان استمرار اللغة وبقاء مجتمع متحدثيها .

خامسا : الوقف

جاء في اللسان وقف ، الوقف خلال الجلوس ، وقف بالمكان وقفا ، و وقوفا ، فهو واقف و الجمع وقّف و وقوف ، ويقال وقفت الدابة تقف ووقفا ، ووقفتها وقفا ووقف الدابة جعلها تقف ، قال الجوهري : " وليس في الكلام أوقفت إلا حرف واحد ، أوقفه عن الأمر الذي كنت فيه أي : أقلعت [1] .

ما lƟŰƸTl : يبدو أن الصرفيين قد أخذوه من المعنى اللغوي ، فقالوا قطع النطق عند آخر الكلمة والوقف عليهما نحو قولك :"رأيت زيدا" فتقف قائلا "رأيت زيدا أو زيدا وزيد"، وإليك تفصيلا لذلك .

الوقف على الاسم المنون وفيه ثلاث لغات :

1) وهي أفصح اللغات وأن يوقف عليه بإبدال تنوينه ألفا بعد فتحة ويحذفه إن كان بعد ضمة وكسرة نحو "رأيت زيدا وفتًى " تقول :" رأيت زيدًا وفتى" تحذف التنوين عن الاسمين وهذا زيد ، ومررت بزيد فتقـول :" هذا زيدْ ومررت بزيدْ " فالتسكين في كلتا الجملتين ، وهذا رجل ومررت برجل فتقول : "هذا رجلْ ، ومررت برجلْ".

2) ذكر أن قبيلة ربيعة تجيز الوقف على المنون المنصوب كما يوقف على المرفوع والمجـرور فيقولون: " رأيت محمدْ وزيدْ وخالدْ" جميعها بالتسكين .

3) أن يوقف على المنون بإبدال التنوين ألفا بعد الفتحة نحو : رأيت محمد فتقول " رأيت محمدا " وهي كاللغة الأولى تماما ، و وا بعد الضمة نحو : هذا محمد ، وياء بعد الكسرة نحو : مررت بمحمد ومررت بمحمدي أو جاء زيد ومررت بزيدي ، ونسبها ابن مالك إلى الأزد ، وذكر ذلك سيبويه قال : " وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون :" هذا زيد ، وهذا عمرو ، مررت بزيدي ، وبعمري جعلوه قياسا واحدا ، فأثبتوا الياء و الواو.

---

[1] لسان العرب ، ابن منظور مادة (وقف)

الوقف على إذن : قال ابن مالك :

وأسبهـت إذا منونـا نصـبا *** " فألفـا في الوقـف نونهـا قلـبا "[1]

قال ابن هشام :" شبهوا إذن المنون المنصوب، فأبدلوا نونها في الوقف ألفا، هذا قول الجمهور، أما الأشموني، فذكر رأيا آخر قال : اختلف في الوقف عليها بالنون لأنها بمنزلة أن ، ونقل عن المازني والمبرد ، وفي رسمها ثلاثة مذاهب .

- أن تكتب بالألف " إذا " قيل هو الأكثر وكذلك رسمت بالمصاحف .
- أن تكتب بالنون " إذن " وقيل إن المبرد قال :" اشتهى أن أكوي يد من كتب إذن بالألف لأنها من (لن ، أن) ، ولا يدخل التنوين بالحروف[2] .
- التفصيل فإن ألغيت كتبت بالألف لضعفها و إن أعملت كتبت بالنون لقوتها وهو رأي الفراء.

1) الو5ع ĂǂY الǗƧ! المنڈو ţ :

- المنقوص المنون : إذا وقف على المنقوص المنون وكان منصوبا نحو : رأيت قاضيا أبدل من تنوينه ألفا ، فتقول " رأيت قاضيا بحذف التنوين ، وتثبيت الياء و إن كان مرفوعا أو مجرورا نحو :" حكم قاض على جان " فالأحسن الوقف عليه بحذف التنوين ورجحه ابن هشام فتقول : حكم قاضْ على جانْ، ويجور الوقف عليه برد الياء المحذوفة فتقول في المثال السابق " حكم قاضي على جاني " ، وقد قرأ ابن كثير نحو قوله تعالى :" ولكل قوم هادي "[3]، " ومالهم من دونه من والي"[4] ، " وما عند ا باقي"[5] وإن كان
- المنقوص محذوف العين مثل "مرٍ" اسم فاعل من أرă أو الفاء مثل "يفي" علما لم يوقف إلا بإثبات الياء فتقول " هذا مري وهذا يفي " وأصلها يوفي حذفت الواو لوقوعها بين الياء والكسرة .

---

1) الألفية ، ابن مالك ، ص 60.
2) الكامل ممبرد.
3) سورة الآية
4) سورة السجدة ، الآية 03
5) سورة النحل ، الآية 96

2) **المنقو ţ ƅĭƷ المنوĎž :** إذا وقف على المنقوص غير المنون فقاعدته كما يلي :

- المقرون بال نحو القاضي والنادي إذا كان الاسم المنقوص منصوبا نحو :" زرت النادي العربي" "ورأيت القاضي في المحكمة" . فتقول في الوقف :" زرت النادي" و "رأيت القاضي" بإثبات الياء ساكنة ، أما إذا كان مرفوعا أو مجرورا جاز اثبات الياء وحذفها والاثبات أجود مثل النادي فتقول في الوقف هذا النادي وهذا الناد ، وهذا الناد بالاثبات والحذف و هذا القاضي وهذا القاضي بالإثبات والحذف وفي الجر تقول مررت بالقاضي أو بالقاض ورجح ابن عقيل الاثبات إذ قال والاثبات أجود .

3) **الوƺ ŽǂŶ ǁǚĹ! المƭŦوƅ** : إن أشهر الأقوال في الوقف على الاسم المقصور المنون هو أن يقف عليه بالألف نحو : رأيت فتى ومررت بفتى فتقول :" رأيت فتى ومررت بفتى دون تنوين أي بحذفه وإن كان غير منون نحو الفتى و وقفت عليه كما هو :" جاء الفتى ورأيت الفتى " .

4) **الوƺ ŽǂŶ ǉǀǋ الƮمƅĭ** : إذا وقف على هاء الضمير فإن كانت مفتوحة ثبتت صلتها، وهي الألف نحو: رأيتها ومررت بها ، وإن كانت مضمومة أو مكسورة حذفت صلتها وهي الواو و الياء ونحو : رأيته ومررت به إلا في الضرورة فيجوز اثباتها كقوله :

ومهمـه معبـرة أرجـاؤه *** كـأن لـون ارضـه سمـاؤه.

فقد أثبت الشاعر في كل من "أرجاؤه وسماؤه"الواو التي هي صلت الضمير المضمون في الوقف للضرورة .

5) **الوƺ ŽǂŶ ما ƴƅǀ تاǉ التƘنĭƮ** : فرق النحاة بين هاء التأنيث ، وتاء التأنيث واعتبروا التأنيث بالتاء المفتوحة وقالوا :" إذا كان آخر الاسم هاء التأنيث وجب الوقوف عليها بالسكون كقولك " :" هذه فاطمة أقبلت" هذه فاطمة .

6) **لوƺ ŽǂŶ ما ƴƅǀ تاǉ التƘنĭƮ** : إذ أوقف على ما فيه تاء التأنيث فإن كان فعلا وقف عليه بالتاء نحو : "هند قامت نحو :" بنت وأخت وإن كان اسما مفردا فلا يخلو أما أن يكون ماقبلها ساكنا صحيحا أولا فإن كان ما قبلها ساكنا صحيحا وقف عليه بالتاء كما ضربنا مثالا لذلك.

وإن كان غير ذلك وقف عليه بالهاء : نحو :" فاطمة وحمزه وفتـاه" وإن كـان جمعـا أو شبهه و وقف عليه بالتاء نحو :" هندات وهيهات" وقل الوقف على المفرد بالتاء نحو :" فاطمت" وعلى جمع التصحيح وشبهه بالهاء نحو :" هنداه وهيهاه" .

ومن العرب من يجري الوقف مجرى الوصل فيقف عليها تاء ساكنة كأنها مبسوطة فيقول :" ذهب طلعت وهذه شجرت وجاء فاطمت " وقد سمع بعضهم يقول :" يا أهل سورة البقرت " فقال بعض من سمعه :" والله ما أحفظ منها آيت " وقوله :"

والله انـجاك بكفـى مسلمـت *** من بعدمـا وبعدمـا وبعـد مت

كانت نفوس القوم عند الغلصمت *** وكـادت الحـرة أن تدعى أمت .

ومسلمت أصلها مسلمه بفتح الميم اسم لرجل ومت أصلها "ما" المصدرية قلب ألفها تاء في الوقف على غير قياس ، والبيت الثاني قوله علصمت فهي رأس الحلقوم ، وقد وقف عليها وكذلك الأمة وقف عليها أمت ويعني الراجز أن الله نجاك على أيدي مسلمة بعدما صارت نفوس القوم عند رأس الحلقوم أي كادت تهلك وذكر الصبان نقلا عن شيخه السيد أن كل امرأة في القرآن أضيفت إلى زوجها ترسم بالتاء المفتوحة نحو : امرأت نوح وامرأت لوط .

من خلال ما تقدم عن الوقف والذي اعتبرته كمثال عن الجهد الأقل الذي يسعى كل لغوي إلى تحقيقه ، وبهذا الجهد الأقل ، الذي يقودنا لا محالة إلى اقتصاد الكلام ، فالوقف والذي يعرف عن اللسانين بالسكته أو الحبسة ، أي أنها تعتبر وقفا لجهد كبير ، فإن هذا الوقف يجعلك تستمر أكثر أي أنك لاتشعر بالمال مما يساعدك على عملية تكرار الكلمة كما لاحظنا آنفا.

فالوقف في هذه الحالة هو عبارة عن اقلال في الجهد في مثل قولك فاطمة ، هذا أسهل من أن تحرك آخر الاسم ، وبما أن هذه الحركة لاتؤدي إلى تغيير في المعنى فلا بأس من التخلص منها بشكل لايدع لتشويه من الظهور أي التخلص منها بطريقة لاتؤدي إلى اخلال بالمعنى .

ثانيا : النحـــــت

1- تعريف النحت :

في اللغة : النشر و القشر و التسوية : يقال نحت النجار الخشب ينحته قطعه.[1]

و هو من ضروب الاشتقاق في اللغة، و هو أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها. كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها" [2] "و هذا يدخل في التعريف الاصطلاحي و نظيف القول أن النحت يختصر من كلمتين (أو أكثر) كلمة واحدة تدل على ما اختصرت منه فيقال حمدل) من الحمد ، ويقال في المنتسب إلى دار العلوم (در عمي) [3] .

و من امثلته التي ذكرها اللغويون الكثير ، و لعل السبب في نشوء بعض المنحوتات في اللغة ، أن المتكلم قد يعسر عليه أن يفعل بين كلمتين وردتا إلى ذهنه دفعه واحدة ، و ربما تتداخل الكلمتان فيها بينهما تداخلا تاما و النتيجة الطبيعية لمثل هذه الزلة وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلفة أوصيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق النحت contamination أو تكوين كلمة صناعية مشتملة على مزيج من أصوات كلمتين أخريين وجامعة لمعنييهما ، و أكثر الكلمات التي تتكون بهذه الطريقة ذات عمر قصير غير أن قدرا غير يسير منها قد يكتب له البقاء فيستقر في اللغة كلمات جديدة [4].

و نقدم الآن بعض الأمثلة :

يقول ابن السكيت : قد أكثرت من البسملة إذا أكثرت من قول (بسم ا الرحمن الرحيم".و قد أكثرت من الهيللة ، إذا أكثرت من قول (لا إله إلا ا) و قد أكثرت من الحولقة إذا أكثرت من قول (لا حول و لا قوة إلا با) ، و من شواهد البسملة قول عمر بن ربيعة :

لقد بسملت ليلى غـداة لقيتهـا *** فيا حبذا ذاك الحبيب المبسمل [5].

---

1) انظر النحت في العربية ، د محمد حسن عبد العزيز – ص 07 .
2) الاشتقاق و التعريب ، ص13 .
3) المرجع السابق ، ص 07 .
4) دور الكلمة في اللغة ، ص 143 .
5) اصلاح المنطق لابن السكيب ص 303 – ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص 332 .

و مما جاء في تهذيب اللغة للأزهري :

قال الأنباري :فلان يبر قل علينا ، و دعنا من البرقلة ، و هو أن يقول و لا يفعل ، و يعد و لا ينجز أخذ من البرق و القول .

- و من الرباعي المؤلف قولهم لمرقة حب الزمان : المحبرم .
- و قال شمـر : المشلور المشمشة الحلوة المq ، قال : هذا غريب : قال الأزهري : أخذ من المشمţ واللوز [1].

و مما ذكره اللغويون من كلام المتأخرين :

- الفذلكة من قولهم : فذاك العدد كذا و كذا
- البلكفة : أخذها الزمخشري من قول أهل السنة : إن ا يرă بلا كيف .
- الفنقلة من قولهم : فƉن قيل .
- الحرزمة من الحزم و الرأي [2].

ويرă أن الضبر النعمان أملى على عثمان بن عيسى النحوي في الكلمات المنحوتة نحو عشرين ورقة من حفظة ، و سماها كتاب (تنبيه البار عين على المنحوت من كلام العرب"[3].

و من طريق ما أن الشاعر المقلب بكشاجم الموفى (250ه) سئل لم لقب بهذا اللقب' فقال :"الكاف من كاتب ،و الشين من شاعر و الألف من أديب ، و الجيم من جواد ،و الميم من منجم ، و قيل إنه طلب الطب حتى مهر فيه فصار أكبر علمه ، فزيد على لقبه الطاء من طبيب فصار طكشاجم و لكنه لم يشتهر لمحافظته الظاهرة للأبنية العربية[4].

---

1) تهذيب اللغة للأزهري ص 30 / 373 – 5 / 333 . 11 / 302 .
2) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل – الخضري ، ص 3 ، مجلة المجمع 7 / 201 .

3) المزهر- السيوطي 1 / 482 – 483 .
4) شذرات الذهب ، لابن عماد الحنبلي ، ص 38/3

النحت عند الخليل :أن نأخذ من كلمتين متعاقبتين كلمة واحدة و ليس شرطا فيه أن يؤخذ من كل الكلمات كما الحال في قولهم (حي على الفلاح) فلم يؤخذ شيء من (الفلاح) .

الكلمة المنحوتة : إذا كانت فعلا – تعامل معاملة غيرها من الأفعال التي على وزانها فيأتي منها المضارع والمصدر ، و إذا كانت اسما – تعامل معاملة فيشق منها و ينسب إليها .

و تحدث سيبويه عن النحت عند حديثه عن (النسب) إلى المركب ،فقال:-وقد يجعلون للنسب في الإضافة اسما بمنزولة (جعفر) و يجعلون فيه من حروف الأول، و الآخرو لا تخرجونه من حروفها ليعرف كما قالوا (ستبطر) فجعلوا فيه حروف البسط إذا كان المعنى واحدا... فمن بالرباعي نحو:- حوقل و فطحل وسبطر... إلخ [1].

و قد تكلم الفراء في النحت و إن لم يسمه ، يروة عنه أنه قال : لم نسمع بأسماء بنيت من الأفعال إلا هذه الأحرف : البسملة و السبحلة و الهيللة و الحولقة (1)

و في معاني القرآن يقرر أن (اللهم) كلمة تنصبها العرب، و قد كـانت أي (اللهم) كلمة (يعني لفظة الجلالة = ا) ضم إليها (أم) تريد : يا ا أمنا بخير ، فكثرت في الكلام فاختلطت ،ثم يقول : وترة أن قول العرب : هلم إلينا ، مثلها إنما كانت (هل) فضم إليها (أم) .و يعرض آراء النحاة في (ويكأن) و يقول : و قد يذهب بعض النحو بين إلى أنهما كلمتان يريد (ويك أنه) أراد (و يلك) فحذف اللام و جعل أن مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال: و يلك أعلم أنه ... و قال آخرون : إن معنى (و يكأن) أن (و ي) منفصلة من (كأن) كقولك للرجل : و ي أما ترة ما بين يديك فقال: و ي ثم استأنف ، كأن وهي تعجب ، كأن " في مذهب الظن والعلم" فهذا وجه مستقيم ،و لم تكتبها العرب منفصلة ،و لو كانت على هذا لكتبوها منفصلة" [2] . أما ابن فارس فقد اهتم كثيرا بالنحت و له فيه انفرد به ، يقول في (الصاحبي) العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة و هو جنس من الاختصار ، و ذلك رجل عبشمي منسوب إلى اسمين ،و أنشد الخليل :

---

[1]) الكتاب سيبويه 4 / 288 – 289 .
[2]) معاني القرآن ، الفراء 1 / 203 – 212 – 213 .

أقـول لها و دمع العيـن جـار *** ألم تحزنك حيعله المنادي .[1]

من قوله (حي علي) .

و يقول في (مقاييس اللغة) أعلم أن الرباعي و الخماسي مذهبا في لقياس يتبسطه النظر الدقيق و ذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت و معنى النحت أن تؤخذ كلمتان و تنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ.

و يقسم الرباعي إلى ضر بين: [2]

الضرب الأول : المنحوت الذي ذكره آنفا من نحو: حيعل و عبشمي .

والضرب الثاني : الموضوع وضحا لا مجال له في طرق القياس ، و هذا الضرب نوعان :

أحدهما : ما أخذ من الثلاثي ثم زيد عليه حرف لمعنى من المعاني مثل :بلعوم فهو مأخذ من بلع ثم زيد عليه الميم للمبالغة .

و الثاني : ما أخذ من كلمتين أو ثلاثة (يعني جذرين أو ثلاثة) و منه بحرق الشيء إذا بدرته ،و هي منحوتة من كلمتين بحث الشيء في التراب و (البثر) الذي يظهر على البدن و ذلك أنه يظهر متفرقا على الجلد و منه (القلفع) و هي ما ييبس من الطين على الأرض فيقلب و هو منحوت من ثلاث كلمات ، قفع ،و قلع و قلف [3] و كذلك يفعل في الخماسي .

و يقول من ذلك أن (البرجد) كساء مخطط و قد نجت من كلمتين : من البجاء و هو الكساء ، ومن البرد و الشبه بينهما قريب أي بين (الكساء و البرد) و مثل ذلك قوله في (جذمور) أنهما من الجذم و هو الأصل والجذر و هو الأصل و إذا صح فقد و صلنا إلى الغرض من النحت و الاختصار (الاقتصاد في الكلمة) .

[1] النحت في اللغة العربية ، د.محمد حسين عبد العزيز ، ص 12.
[2] النحت في اللغة العربية –د محمد حسين عبد العزيز ص13 .
[3] مقاييس اللغة ،ابن فارس 1 / 329 – 330 / 5 / 117 .

و قال : ومن ذلك قولهم للرجل إذا استر بيده طعامه كي لا يتناول (جردب) من كلمتين (جردب) من كلمتين : من جدب ،لأنه يمنع طعامه : فهو كالجدب المانع خيره و من الحيم و الراء و الباء ، كأنه جعل يديه جرابا يعني الشيء و يحويه [1] .

و ينقسم النحت في اللغة إلى أربعة أقسام :

- **النحت الفعلي** : و هوأن تنحت من الجملة فعلا يدل على النطق بها ، أو على حدوث مضمونها مثل (جعفل) إذا قال الآخر: جعلت فداءك و "بسمل" ،وإذا قال : باسم ا الرحمن الرحيم .

- **النحت الوصفي**: و هو أن تنحت من كلمة واحدة تدل على صفة بمعناها أو باشد منه مثل (ضبطر) للرجل الشديد من : ضبط و ضبر و في : ضبر معنى الشدة و الصلابة .

- **النحت الاسمي** : وهو أن تنحت من كلمتين اسما مثل :" جلمود" من جمد و مثل "حبقر" للبرد وأصله حب قر .

-**النحت النسبي** :و هو أن تنسب شيئا أو شخصا إلى بلد "طير ستان" ، "خوارزم " مثلا فتنحت من اسميهما اسما واحدا على صيغة اسم المنسوب فتقول" طبر خزي" ،[2] و لأبي الحسن اليد الطولي في هذا الموضوع فهو إمام القائلين بالبحث بين اللغويين القدامي يقول في كتابه مقاييس اللغة "اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيقوذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آحذة منهما جميعا بحظ.[3]

- **النحت الاسمي** : أن تنحت من كلمتين إسما مثل جلمود من جلد وجمد وقد يأتي من هذا النوع ما تكون حروف المنحوت عين حروف المنحوت منه و يكون أثر النحت في الصيغة لا في المادة مثل : شق حطب على وزن شقحطب اسم للكبš منحوت من شق و حطب و مثل حبقر للبرد و هو من حب وقر فيقال هذا الشيء أبرد من حبقر أي أبرد من البرد .

---

[1] المرجع نفسه 5 / 117 .
[2] الاشتقاقى و التعريف ، ص13 - 14 .
[3] مقابيس اللغة ابن فارس 1 / 328 .

3 ـ المركب المزجي و النحت

عرف السيوطي المركب المزجي بأنه لكل ا سمين جعلا اسما واحدا بالإضافة ولا بالاسناد يتنزيل ثانيهما منزلة هاء التأنيث نحو بعلبك ورامهر مزومارسجس [1].

ومن صوره : المركب المزجي المعرب كبعض الأعلام معربة وعربية ومنه المركب المزجي المبني مثل سيبويه ومركبات أخرة كالأعداد والظروف والأحوال .

- مركبات العددي ، أحد عشر.
- مركبات الظروف الزمانية مثل : صباح ، مساء.
- مركبات الظروف المكانية مثل : هو جاري بيت ، بيت أي متلاصقان .
- مركبات أحوال مثل : وقعوا في حيص بيص أي فتنة مائجة.
- مركبات صوتية مثل : غاق غاق.
- مركبات أعلام شخصية عربية غير معربة مثل : معد يكرب .
- مركبات أعلام شخصية معربة غير عربية مثل : بعلبك [2].

والمركب المزجي حين ينسب إليه يندرج في المركب بعامة فينسب إلى صدره فيقال في النسب إلى بعلبك بعلي ، وأجاز الجرمي النسب إلى الأول أو إلى الثاني أهمها شئت فتقول : بعلي أو بكي ، وقد جاء النسب إلى كل واحد من الجزئين قال :

تزوجتهـا راميـك هـرمزيـة *** بفضل الذي أعطى الأمير من الرزق

وأجاز بعضهم النسب إلى المركب غير مزال تركيبه إذ خف اللفظ مثل بعلبكي [3].

---

1) همع الهوامع ، السيبوطي ، 32/1.
2) في أصول اللغة ، لمحمد خلف الله ، 59/1 - 61
3) شرح الشافية ، الرطي ، 72/2 – 74.

وأحرف المضارعة هي بقايا للضمائر المنفصلة فالألف والنون من مختصات المتكلم على إطلاقه والياء للغائب ، والتاء للمخاطب ...ﻫ [1].

ويرى أن الشين في (شلون) في بعض اللهجات العربية الحديثة منحوتة أصلا من ثلاثة ألفاظ مستقلة لفظا ومعنى وهي (أي شيء هو) و (ليش) المستعملة بمعنى لماذا مؤلفة من لام الإضافة و (أيش) المنحوتة من (أي شيء هو) فكان أصلها (لأي شيء هو) [2].

ويرى أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب أن بعض الكلمات الثلاثية قد تكون منحوتة مثل أسمر فهي من أسود وأحمر [3].

وهناك من يرى أنه ماوقع في اللغة المعاصرة يمكن تفسيره على هذا النحو وهي الكلمة (لعم) و(نعم) يشاربها إلى صيغة سياسية تمويهية لا ترفض شيئا ولا تقبل شيئا فلا تقول (لا) ولا تقول (نعم) .
ومن أمثلة النحت عند الحصري والتي دعا إلى استعمالها :

أ- لا شعوري ولا إرادي ولا سلكي ، ولافقاريات ...ﻫ وغرض الحصري من هذا النواع أن تستعمل (لا) في المركب السابق مقابلة للسابقة un أو a أو an وهي من السوابق التي تستخدم للنفي أوالسلب في اللغات الأوروبية ومن ثم يقال : لا محدود un limited ولا أخلاقي ، anormale ولاماني anhydride .

- غبمدرسي : post schoolar فتجئ (غب) في مقابل السابقة post لتدل على حدوث شيء بعد شيء .
- قبتاريخ : Prehistory فتجئ (قب) في مقابل السابقة pre.

[1]) الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان ، 71-72
[2]) المرجع نفسه ، 71 – 72 ، وانظر في تركيب الأدوات ، لمغني اللبيب لابن هشام ، ص 291.
[3]) فقه اللغة ، رمضان عبد التواب ، ص 305 .

- وكذلك يمكننا أن تنحت كلمات (خارج ، فوق ، تحت) على شكل (خا ، فو ، تح) وتقول (خامدرسي) في extraschoolar و (فوسوي) في above - normal و (تحشعوري) في subooscions.

ويقترح كذلك منحوتات عربية أخرى تقابل كلمات مركبة مثل : حيثومة من (حيوان جرثومة) لتقابل المصطلح Sporzoa ، وحلقظة من (حلم ويقظة) التقابل مصطلح day dream .

ويقـول إسماعيل مظهر أنه من أصول النحت حذف بعض الحروف من اللفظين المراد نحت لفـظ منهما [1] ، كما أنه يقول بجواز النحت في المصطلحات العلمية ، كما يجوز النحت في المصطلحات التي يعجز عن ترجمتها أو تعريبها تعريبا يفي بالحاجة ، وان النحت لن يفسد العربية إذا روعي فيه ألا يكون نابيا في الجرس عن سليقة اللغة و أن يكون المنحوت على وزن عربي معروف وأن تستجيب اللفظة المنحوتة لقواعد العربية الصرفية و النحوية .

وقد قدم عبد الله أمين قائمة مطولة من الكلمات المنحوتة منها : فحم السكر وهو مثال الكربون النقـي : يمكن أن نحت منه اسما رباعيا على فعلل بطرائق شتى فنقول : فحمس أو فسكر ، فمسـك أو فحكر فضة + كلور = كلورور الفضة : يمكن أن نطلق عليه : كلفض ، نتروجين + أكسجين + صوديوم = نترات صوديوم يمكن أن نقول فيه نتأصد [2].

ويرى ابن فارس أن الاستشهاد بالأمثلة الشائعة المذكورة بل يتخذ لنفسه مذهبا في النحت وجدير بالنظر والمناقشة فهو يرى أن الألفاظ الزائدة على ثلاثة أحرف اكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد ضبطر من ضبط وصبر وفي قولهم صهصلق أنه من صهل وصلق ، وفي الصلدم أنه من الصلد والصدم [3] ، و نجد أيضا قول الشاعر كمثال :

وتضحك مني شيخـة عبشميـة *** كأن لم تر قبلي أسيـرا يمانيا [4].

1) تجديد العربية ، اسماعيل مظهر ، ص 6- 10.
2) الاشتقاق ، عبد الله أمين ، ص 431 – 434.
3) الصاحبي في فقه اللغة ، لابن فاس ، 271.
4) النحت في اللغة العربية ، محمد حسن عبد العزيز ، ص 12.

وقد وسع ابن فارس من دائرة النحت في العربية حتى بلغ عدد الألفاظ المنحوتة في معجمه أكثر من ثلاثمائة كلمة منحوتة ، ومن أمثلة ماذكره :

البعثقة ويفسده بخروج الماء من الحوض ، يقال تبعثق الماء من الحوض إذا انكسرت منه ناحية فخرج منها وذلك منحوت من كلمتين بعق وبثق .

بلطح الرجل إذا ضرب بنفسه الأرض فهي منحوتة من بطح وبلط إذ التصق ببلاط الأرض البرقţ اسم لطائر وهو من كلمتين رقشت الشيء وهو كالنقţ ومن البر ţ وهو اختلاف اللونين .

4- النحت والاختصار

يضع ابراهيم أنيس المنحت من بين طرائق نحو اللغة ، وإن كان لايسمح به إلا حين تدعو اليه الحاجة الملحة بيد أنه في نهاية حديثه عنه يشير إلى ظاهرة سماها اللغويون Hapology وهو حذف بعض الأصوات من الكلمة اختصارا لبنيتها ويسيرا للنطق بها ، واعتبروا هذا ميلا عاما في تطور بنية الكلمات وقد وجدوا أن اللغات في أقدم صورها المعروفة لنا كانت تتضمن كلمات كثيرة قصيرة البنية قليلة المقاطع بل وتبين أن هذا الميل العام لا يزال سائدا في اللغات الحديثة وهو يرى أن النحت في العربية صورة من تلك الظاهرة [1].

وقد قدمت لجنة المجمع نماذج كلمات من وضع لجنة الكيمياء والطبيعة بالمجمع ومنها :

- حلمأ من (حلل الماء) tohydrolise.
- برمائي من (برومااء) amphoteric.
- يشبغروي من (شبه غروي) calloid.
- لكلر من (نزع الكلور) Dechlerination.

---

[1]) من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، ص 78.

يقرر المجمع أن النحت ليس بدعة فهو معروف في العربية شعرها ونثرها وقد كان موضع بحث في كتب النحو واللغة . ومن مقترحات المجمع حول النحت ، ويلتزم في المصطلحات العلمية أن تكون كلمة واحدة في مقابل كل كلمة عربية من تعريفها ، ويصرح باستعمل النحت لإيجاد مصطلحات العلوم.

وهذه مصطلحات طبية منحوتة والمئات منها تنتهي بـ ectomy ويقصد الاستئصال فتنحت من استأصل حرفي (صل) وتكمل فعللة من الكلمة الثانية فيقال (صلوز) من استئصال اللوز لتقابل المصطلح Tonsillectomy [1].

كما يرة النحت أصلا من أصول العربية وطريقا من طرق اثرائها ويري أيضا أن كل اللغات الحية كانت في أصل بنيتها لغات اشتقاقية وانما لجأ اهلها إلى النحت والتركيب ليستعينوا به على صوغ ألفاظهـم . ونجد بعض الألفاظ في معجم الدلائلية للدكتور التهامي الراجحي :

خدليل : خاصية ودليل : iqualisigne.

قدليل : قانون ودليل : legisgne.

ندلالة : نظرية ودلالة : semanalyse.

وقد نحت المصطلح (أمكا) (ego lic et nunc) من ثلاث كلمات هي : أنا و مكان و وقت ليكون التقابل بينها وبين المصطلح الفرنسي على النحو التالي :

من أنا وتقابل ego أمك : من مكان وتقابل hic.

(1) هي الواو من (وقت) وصارت ألف مد في آخر الكلمة لتقابل nunc.

- نحت (عتدل) ليشير إلى Semassiolagie على النحو التالي : ع : من علم و ت : من تطور د : من دلالة و ل : من الألفاظ ، فما فعله إذا هو أنه عرف المصطلح بالعربية ثم أخذ من كل كلمات التعريف الحرف الأول منها على حالها فيه إلا كلمة (الألفاظ) فقد آثر اللام على الألف لصعوبة نطقها في نهاية الكلمة المنحوتة [2].

---

[1]) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج13 ، ص 66.
[2]) اللسان العربي مجلد 24 ص 147 . 171 و المجلد 25 ص 227 - 252 .

و أورد بعض مصطلحات صيانة الطبيعة لعبد الحق فاضل :

المحيـط الأحيائـي	المطحيات	biosphere
منطقـة الموطـ ـ ن	منطوطن	biotospe
توليـد نوع واحـ ـ د	تونوحد (تو،نو، حد)	monoculture
محمية طبيعية محرمة	محطعرمة (مح+طع+رمة)	strict nature
ضبط جريان النهر	ضبجر نهر(ضب+جر+نهر)	streainf low control

مصادر الطبيعية اللامتجددة = مصطلا جدة (مص+طع +لا+جدة).Non - renewalele natural resources

ينحت من الكلمات على حالها أي بما تتضمنه من زوائد ، و لا ينحت من جذورها فكأنه عرب المصطلح

أولا في تركيب إضافي أو وصفي ، ثم نحت من مفردات التعريف مثل:

حيوانات محميـة	حيمحمية (حي+محمية)	Protected Animals
استصلاح الأرض	استسأرض (استص + أرض)	Land Reclamatione
بنيـة التربـ ـة	بنتربة (بن + تربة)	Soil extures
تهوي التربة	تهتربة (تهـ + تربة)	Soil Aeration

ولكنه قد يضطر لسبب صوتي أن ينحت من الكلمة الثانية :

عوامل بشريـة	عمشرية (عم + شرية)	Limiting Factory
نظام الاجتنـاء	نظجتناء (نظ + جتناء)	Cropping System
تحكم احيائـي	تكحيائي (تك + حيائي)	Biological Control
حجم الجريـان	حمجريان (حم + جريان)	Stream Flaw [(1)].

[1]) معجم مصطلحات صيانة الطبيعة ، عبد الحق فاضل ، ص 201.

يقول عبد الحق فاضل أن مزية النحت ليست الإقتصاد في الحروف أو في الجهد العضلي وبس بل اكثر من ذلك هو جعل المصطلح الطويل كلمة واحدة قابلة للتعريف والتنكير والاضافة والافراد والجمع بل والاشيقاق أحيانا [1].

مما ورد عن النحت نقول أن النحت ظاهرة لغوية احتاجت إليها اللغة كبعض الظواهر الأخرة وذلك قديما وحديثا ، ولم يلتزم فيه الأخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات ، وقد وردت من هذا النوع كثرة تجيز قياسته ، ومن ذلك يجوز أن ينحت من كلمتين أو اكثر اسم أو فعل عند الحاجة على أن يراعي ما أمكن استخدام الأصلي دون الزوائد ، وهذا الاستخدام يعد تقليلا لحجم الكلمة وعدد حروفها والجهد المبذول لنطقها ، أي أنك عندما تولد كلمة أو تنتجهات من عدة كلمات فإنك في هذه الحالة تنتج قليلا من كثير ويبقى المعنى نفسه وهذه يعد اقتصادا بعينه لا تبذيرا في الوقت ، أو الجهد أوالمكان ، اذن فكلمة تكون تتابع عدة كلمات يعد محققا لقاعدة اقتصادية كبيرة هي معنى مفيد بجهد أقل و وقت أقل ، وكذلك باستخدام لفونيتمات والفونات قليلة أيضا ، فهذا النحت عملية انتاجية لقليل من المنتوج وذلك بعد استهلاك لمادة أولية كبيرة جدا مثل : قولنا "صلعم" فقد أخذت من "صلى ا عليه وسلم" اذن فالنحت هو ظاهرة مجسدة لمعنى الاقتصاد في الكلمة الواردة في اللغة العربية ويمكن أن نلحظ ذلك في باقي اللغات كقولهم U-S.A.U.N.I.S.C.O-U.N.I.C.E.F اذن فإن قرار المجمع الذي صدر عام 1965 غاية ما كان يتوقعه دعاة النحات لدعوتهم لهذه الظاهرة ، وقد أصبح النحت جائزا في غير الضرورة واعترف بكثرة أمثلته مما يجيز قياسته ، و وضعت بعض الضوابط لصوغه فاشترط أن يراعى عند استعماله الأصلي دون الزوائد وأن يخضع لوزن عربي ، ومع ذلك كله أجاز أن يجيء الفعل منه على غير (فعال) .

وفي الأخير أو رد بعض شروط حدوث النحت من خلال ما تقدم :

- ألا يكون اللفظ المنحوت نائيا في الجرس عن سليقة العربية.
- أن يكون المنحوت على وزن عربي نطق به العرب على قدر الإمكان.
- أن يؤدي المنحوت حاجات اللغة من افراد وتثنية ونسب واعراب.

---

[1]) المرجع نفسه ، ص 210.

وكان موقف مجمع اللغة العربية الذي قال بجواز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة مع مراعاة طبيعة العربية في ذلك [1] . وبمراعاة تلك الشروط يصبح النحت وسيلة ايجابية في اثراء اللغة العربية وتجديد الفاظها لتلاحق التطور العلمي والحضاري الحديث في غير تنكر لطبيعتها ، أو عدو أن على خصائصها .

يرى إسماعيل مظهر – وهو لغوي وأديب وعالم في الاحياء – أن النحت أصلا من أصول العربية وطريقا من طرق إثرائها ، ويرى أن كل اللغات الحية كانت في أصل بنيتها لغات اشتقاقية ، وإنما لجأ أهلها إلى النحت التركيب ليستعينوا به على صوغ الفاظهم [2].

وعليه فإن النحت في بحثنا هذا هو من أبرز سمات الاقتصاد اللغوي حيث بواسطته ومن خلاله يمكننا التخاص من فائض لغوي كبير ، بحيث يمكننا أن ننسج من عدة كلمات كلمة واحدة ، وبذلك تكون قد قللنا في الجهد من جميع جوانبه ومن أمثلته : برمائي فهي من بر وماء فقد تم التخاص من فائض كبير بحيث عند النطق بهذه الكلمة نفهم مباشرة مثلا أن الحيوان البرمائي يمكنه العيش في البر كما يمكنه العيش في الماء ، ولادائي لكي نطيل في كل هذا بمجرد التلفظ بها نفهم المراد مباشرة.

ولدينا مثال آخر كلمة حلمأ فهي مأخوذة من حلل الماء فإن من يتلفظ بها المتلقي مباشرة يفهم أنه تحليل الماء نلاحظ بطريقة احصائية عدد حروف الكلمة المنحوتة أربعة حروف والتي نحتت منها تتكون من عشرة حروف أو ليس هذا اقتصاد بأم عينه !

وابرز مثال لدينا هو البسملة المأخوذة من باسم ا الرحمن الرحيم أنظر من أربع كلمات أخذت كلمة واحدة تؤدي الغرض باقتصاد جميل فبمجرد قولك ، فلان نطق بالبسملة، نفهم أنه قال : باسم ا الرحمن الرحيم.

[1]) مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ج7 ، ص 201 – 204.
[2]) أنظر تجديد العربية ، اسماعيل مظهر ، ص 6 – 10.

ثالثا : الاقتصاد في الجهد العضلي : Principe du moinder effort

أشمل محاولة لشرح الاقتصاد الذاتي وربطة بالنظرية المتعلقة بالسلوك الانساني هي كتاب زيف السلوك الانـساني ومبـدأ الجهـد الأقـل .Human Behaviore and the principle least effort (1949) وهدفه هو تقديم دليل مقنع على أن كل سلوك صحيح للفرد يحكمه مبدأ الجهد الأقل (6- 1949 Zipf)[1] ، وتقليل الجهد في نظرية زيف لاتعني بذل أقل جهد ممكن في أي لحظة ، ولكنه يعني أن :" معدل متوسط بذل جهد الشخص طوال الوقت " ([2]) ، وهنا هو يؤكد على توفير الجهد للوقت القادم مع توفير الطاقة اللازمة ويرĂ أنه مبدأ فعال للتطور التكيفي . ولتوضيح المبدأ المجرد يشير زيف إلى المثال المحسوس للأدوات على طاولة عمل النجار ، فالعمل بالأدوات لايتطلب استعمالها فقط بل يتطلب أيضا اقتناءها وصيانتها وتعديلها ، ومبدأ الجهد الأقل في هذه الحرفة ستكون له نتيجة مؤداها أن الأداة الأكثر استعمالا ستكون خاضعة لأكثر التعديلات التي تجعلها أصغر و أخف وأسهل استعمالا ، ومن هنا يكون هناك اقتصاد في زيادة تكرار استعمال الأداة الأسهل ، وهي ستكون الأداة التي

يعاد تصميمها كثيرا جدا ، والتنمية الأخرĂ ستكون هي أن كل الأدوات سوف ترتب على طاولة العمل بحيث إن المسافة من يد النجار ترتبط عكسيا بتكرار الاستعمال ، أي أن الأداة التي تستعمل بشكل أقل سيكون مكانها على مسافة أبعد من يد النجار ، وهنا ينتج أثر معين للتغذية المرتدة ، لأن النجار في هذه الحالة سوف يميل حتما إلى استخدام الأداة الأقرب لأن جهد الوصول إليها هو جهد قليل من مجمل الجهد المستخدم ، ومنه كل هذا يمكن القول أن الجهد في هذه الورشة مرتبط بالأداة المستخدمة والمكان الذي توضع فيه .

ومبدأ الجهد الأقل في هذه الحالة يفرض على كل أداة أن حملها الوظيفي لن يزداد إلا إلى الحد الذي سوف يترتب عليه تقليل مجمل الجهد الذي يجب بذله في الورشة .

[1]) المعلومات المدونة عن الاقتصاد في الجهد العضلي مأخوذة من كتاب اللغة والاقتصاد من تأليف : فلوريال كولماس ، ترجمة : د. أحمد عوض ومراجعة : عبد السلام رضوان ، وهو كتاب من "سلسلة عالم المعرفة " ، الكويت 2001 ، ص 296 – 310.
[2]) المرجع نفسه ، ص 314.

1- الاقتصاد في أصوات الكلام

إن عناصر اللغة المكونة لها تختلف دوما في تكرارها وفي وقوعها ، ولكن لماذا يحدث هذا þ ولماذا لايكون التكرارا نفسه بالنسبة لكل عناصر هذه اللغة ، ومن بين عناصرها الفونيمات ، وهنا لابد من تدخل مبدأ الجهد الأقل.

الفونيمات تعرف على أنها تجمعات من الملامح النطقية المميزة في نظرالصوتيات النطقية و النطق كما نعرفه هو تتابع من الحركات العضلية التي تحرك أعضاء النطق المختلفة ، ومن خلال تحرك هذه العضلات فـإنه من الطبيعي أنه يكون هناك اختلاف في الطاقة المبذولة لإنتاج مع بعض أصوات الكلام المتناظرة . فنطق فونيم معين يحتاج إلى طاقة ربما أكثر من فونيم آخر ، وأقل طاقة من فونيم آخر ، اذن فـإنه يمكن أن يكون لفونيم ملمح وفونيم آخر ملمح اضافي وبوجود هذا الأخير لابد من جهد أكبر ، ولإستخدام نقاص عضلي وليس إهماله ، لكن تحقق و وجود هذا الملمح الاضافي يتسبب في انفاق طاقة إضافية ، ومن بين هذه الملامح : الهائية ، وهي في الصينية ملمح فونيمي فقد وجد أن الصوامت غير الهائية p / t / k / من بين صوامت أخرǎ تقع بشكل اكثر مرتين أو ثلاث من شريكاتهـا الهائيـة "p^h / t^h / k^h /وعلى العكس لا يقع صوت هائي على نحو متكرر أكثر من شريكـه الفونيمي غير الهائي" [1] . ونجد أن الأصوات الشفوية البينية الأنفية مثل (m) أسهل نطقا من بعض الأصوات النسية واللثوية (n) لأن هذا الأخير يتطلب حركة اضافية من اللسان ومن هنا نجد أن ما وجده زيف يتفق مع ما قلناه بحيث وجد أن (m) اكثر تكرارا من (n) في اثنين وعشرين لغة من أسر لغوية مختلفة [2].

ويمكننا أن نثير أو أن نقول أن هناك ارتباط كبير بين سهولة النطق وتكرار الفونيمات والذي يعود طبعا إلى مبدأ الجهد الأقل وذلك يكون دائما على المستوǎ الفونولوجي والحقيقة المعروفة جيدا والمدهشة مع ذلك وهي أن الأنظمة الفونيمية تتكون من قائمة صغيرة ما بين 20 و 70 عنصرا ، وليس من مئات أو آلاف ، وهذه القائمة تواءمت مع الانسان سامحة له بتخفيض جهد النطق بقدر ما يمكن من دون اعاقة للجهد الذي يكمن إلى حد كبير في تمييز الأصوات .

---

[1] ZPF ، 101 ، ص 1949.
[2] المرجع السابق ، ص 306.

أما مرتنيه Martinet فقد أقر في نظريته الفونولوجية فكرة أن مبدأ الإقتصاد مبدأ فاعل على مستوى أصوات الكلام ، ونظريته تعنى بالتعارض المستمر بين الاحتياجات الاتصالية لمستعملي اللغة وميلهم إلى تقليل الجهد الفيزيقي والعقلي .

وعلى حسب رأي مارتنيه فإن الخاصية البنيوية التي تعد ذات أهمية كبيرة بالنسبة للغة الانسانية تحركها أيضا عوامل الاقتصاد اللغوي وهو ما يعرف بمبدأ ثنائية التنميط duality of pattering والذي يفتح المجال ويتمم للوحدات اللغوية بأن تجزأ إلى وحدات ذات معنى على مستوى معين أي "مونينات" "monems" [1] حسب مصطلح مارتنيه ، وحدات تفرق في المعنى ، أي فونيمات على مستوى آخر ، هو ما يشرحه مارتنيه :

الميزة الواضحة للبناء الثاني هي الاقتصاد ، والبناء الأول بناء اقتصادي بمعنى أنه يمكن عن طريق آلاف قليلة من المونيمات غير المحددة جيدا انجاز رسائل مختلفة لا حد لها ، وبالطريقة نفسها فإن البناء الثاني بناء اقتصادي ، حيث أن مجموعة متمايزة من بعض الدست من الفونيمات نتيح للانسان أن يحفظ كل المونيمات مستقلة بعضها عن بعض بالقدر الذي يحتاجه ومن وجهة نظر تنوع وغنى الإتصال الانساني فإن البناء المزدوج هي معالجة ضرورية للغات الانسانية [2].

ويرى مارتنيه (Martinet 1969. 39) أن الخاصية التركيبة للبناء المزدوج ذات أهمية أساسية قصوى لدرجة أن تطور الانسانية لايمكن تصوره من دون الاقتصاد الذي حققه تجزئي المونيمات إلى فونيمات [3].

---

[1]) المقصود ببساطة هو الوحدات ذات الدلالة كالموفيمات والكلمات ...الخ وهي البناء الأول أما المقصود بالبناء الثاني فهو الفونيمات التي تتكون منها المورفيمات والكمات وهي الأصوات التي ليس لها معنى في ذاتها ، ولكنها تقوم بالتفريق في المعنى بين الكلمات والمورفيمات كما يطلق على هذا أيضا Duality of structure (المترجم)

[2]) مبادئ في اللسانيات ، اندريه مارتينيه ، 1965م ، ص 35.

[3]) المرجع نفسه ، ص 39..

وإن هذا التجزيء يستمر على مستوى الفونيمات والتي تتكون بدورها من ملامح نطقية وتكشف بدورها عن بنية داخلية ، والنظام الفونيمي يتميز فيه كل عنصر عن باقي العناصر وذلك من خلال ملامحه النطقية ، وأن مجموعة من الفونيمات خاصة بنظام معين تتحقق عن طريق تجميع ملامح نطقية تقع في اكثر من الفونيمات الأخرى ، وهو ما يسميه Martinet بـ " إقتصاد الملامح" ويقصد به الاستعمال المتعدد الملامح المميزة .

لأنه كلما كان عدد الفونيمات التي يمكن أن تميز عن طريق مجموعة معينة من الملامح عدد اكبر كان اقتصاد الملامح في النظام أكبر .

وكما هو معروف فإن التعامل مع القليل دوما يكون أفضل وأسهل منه في التعامل مع الكثير ومن هذا يمكننا القول أن نظاما معينا يتكون من عدد اكبر من الفونيمات يكون أصعب في التعامل معه من نظام ذي عدد أقل ، وكذلك العدد الأكبر للملامح المميزة المكونة لفونيم معين يجعله أصعب في التمييز من العدد الأقل ، فإنه لابد من وجود نوع من الاقتصاد أن تقلل من الفونيمات والملامح ، وإن العدد القليل من هذه الملامح يشهد على حقيقة أن مبدأ الجهد الأقل الذي يحكم اتفاق الجهد الاتصالي للمتحدثين ينعكس في النظام اللغوي وذلك خلال

العملية الدائمة للتغير اللغوي والاقتصاد في الجهد أو مبدأ الجهد الأقل لايقتصر على الفونيمات فقط بل يدخل حتى نطاق الكتابة وهو ما يمكننا تسميته اقتصاد الكتابة : فالكتابة مثل الكلام طبعا فهو يتطلب جهدا كما تتطلبه هي ولهذا فإنه الجهد الأقل يمكننا أيضا أن نجده يدخل باب الكتابة مثلما دخل باب نظام الفونيمات من قبل أي أنه يدخل في انتاج اللغة المرئية .

كما هو معروف أن الكتابة أقل عمر امن الكلام بكثير ، وكما رأينا سابقا أن الأنظمة الفونولوجية لديها ميل متأصل نحو التبسيط والبحث عن السهولة في زيادة الانتاج ، ويمكننا تطبيق نفس للقوانين مع ادخال بعض التعديلات عليها بشكل متميز بالنسبة للكتابة وذلك ببساطة شديدة فالكلام من اختصاص تقريبا كل الجهاز التنفسي أما الكتابة فهي من اختصاص اليد ويمكننا أن نقدم كدليـل على ذلك الكتابـة

المسمارية ، فقد كانت في بداية الأمر صور رمزية مبكرة وهي عبارة عن تمثيلات تصورية لأشياء محسوسة ، وكانت تشرط على ألواح طينية بطرف قلم مدبب ، والبصمات المتميزة السفينية الشكل وطبعا جاءت منها الكتابة المسمارية ولكنها لم تظهر إلا في مرحلة متأخرة حوالي 2500 ق.م ، وبعدها بدأ النساخ في ضغط طرف القلم وليس بسحبه كما كان من قبل وبهذا الضغط وجدت علامات أكثر انتظاما وأناقة ، ومن هنا بدأت عملية التبسيط والتوحيد وبعدها بدأ و بتقطيع السلسلة المرسومة إلى أجزا يتكون كل منها من بصمة السفينية الشكل ومواضع الإسفين المختلفة الناتجة عن العلامات غير المنتظمة (شبه-) الصورية للفترة المبكرة كانت هي الملامح المميزة للصور الرمزية للكتابة المسمارية . والخطوة التي تلتها هي اختصار مواضع الإسفين ، وطبعا جاء هذا الاختصار باعتباره نتيجة لمقتضيات الوضوح الشكلي ومبادئ الاقتصاد.

وطبيعي أنه من المتصور إمكان نشأة رموز كتابية مساوية للغات الطبيعية في طاقتها التعبيرية من دون أن تشتق من أي منها ، ولكن تاريخ الكتابة لايظهر لنا إلا مجرد آثار باهتة لمثل هذه النشأة ، ويمكننا أن نصدق بالقول أن الكتابة قد نشأت قبل كل شيء من أجل حفظ المعلومات والاتصال بها .

ومن هنا يمكننا القول أنه يمكننا أن نجد أن كل انظمة الكتابة بغض النظر عن الظروف المحددة التي ابتكرت فيها قد اصبحت أدوات لتسجيل المعلومات المشفرة لغويا ، وتعد هذه كأول إشارة بسيطة إلى أن المباديء الاقتصادية كانت ذات فعالية في نشأة وتطور أنظمة الكتابة وأن مستوى القدرة الاتصالية التي انجزها النوع الانساني ذات مرة نقصد بذلك اللغة وقد استغلت في ايجاد نظام جديد ، وليس محاولة تكرار المستوى نفسه .

وبهذا المعنى نقول أن انظمة الكتابة هي انظمة تابعة ، وبما أن العلما يؤكدون على الطبيعة الاشتقاقية . وقد فسروا تاريخ الكتابة بوصفة تطورا غائيا مدفوعا بقوة اقتصاد الجهد الذي يقلل قائمة العلامات الأساسية وحسب يمكننا القول أن الألفبائية هي الهدف النهائي بعيد الأجل لتطور الكتابة الذي اتجهـت إليه منذ البدايـة والحجة في هذا أن قائمة الألفبائية هي أصغر قوائم أنظمة الكتابة الأخرى وقد سلم Gelle وهو من أبرز المدافعين عن " مبدأ الاقتصاد " والذي يهدف :" للتعبير الفعال للغة عن طريق أقل عدد ممكن من العلامات " [(1)].

[1] GELLE ، ص 72 ، 1963.

ومما تقدم يمكننا القول أن قائمة العلامات الأساسية هي عامل واحد من بين العوامل التي تحدد جودة نظام كتابة معين . فهذا الأخير يتفاعل طبعا بطرق متعددة وفي بعض الأحيان معقدة مع باقي العوامل ، وخاصة بشكل واضح مع عامل البساطة والوضوح والوفاء ، ومن هنا فنظام كتابة مقطعي معين مثل نظام (الكانا) الياباني ، يمكن أن يكون أكثر أو أقل اقتصادا وبساطة و وضوحا و وفاء بقدر ما يكون نظام كتابة مورفيمي الأساس مثل النظام الصيني ، أو نظام الفبائي مثل نظام الانجليزية ، والبساطة هنا تمكن في وجوب ربط العلاقة بين العلامات وماتشير إليه: من مورفيمات، مقاطع، فونيمات.

ومن بين الأنظمة اللغوية التي تحقق الخصائص التي تحدثت عنها تقريبا هي الألفبائية لأنها اقتصادية وبسيطة و وافية وكفئة ، وهي بالتالي كما قلت تحقق الحد الأقصى لكل الخصائص المذكورة : " ولكن هذا التقدير يقوم على افتراضين غير مؤكدين : الأول هو أن نظام الكتابة الجيد هو تمثيل مماثل للغة التي يستعمل لها والثاني هو أن تقليل عدد العلامات الأساسية هو ميزة كاملة ، وهما افتراضان صحيحان بشكل جزئي فقط ، لأن رفع فعالية أحد المؤشرين المذكورين كثيرا ما يكون على حساب آخر "[1]، إذن يمكننا القول من كل هذا أن وفاء نظام معين قد يعني زيادة عدد العلامات الأساسية ، أو يعني تعقيدا زائدا في علاقتها مع ما تشير إليه .

أما الألفبائية في التطور الذي يسودها جاء نتيجة تفاعل العوامل المذكورة ، فنلاحظ نقلها من الفنيقية إلى اليونانية وهذا ما أدّى إلى زيادة العلامات من 22 حرفا فنيقيا إلى 26 حرفا يونانيا ، وهذه الزيادة هي التي كانت السبب في اظهار أن الألفبائية هي الأكثر وفاء للغة في الوقت نفسه ، انتهى التطور.

إن اقتصاد قائمة نظام كتابة معين يعد عاملا واحدا فقط من عدد العوامل المتفاعلة التي تحدد نوعية نظام كتابة معين واقتصاد الاتصال المكتوب . وإذا اعتبرنا أن حجم القائمة هو المعيار الوحيد لتقييم أنظمة الكتابة فإننا نجد أن النظام الألفبائي خاصة الانجليزي سوف يحكم عليه بأنه نظام أكثر اقتصادا مثلا منه من نظام الكانا الياباني على سبيل المثال .

[1]) اللغة والاقتصاد ، فلوريال كولماس ترجمة ، أحمد عوض ، مراجعة : عبد السلام رضوان ، ص 313.

أما الاقتصاد في الكتابة الصينية يوجد في الارتباط بين تكرار استعمال الرموز وعدد جرات القلم المكونة للرمز ، أي التعقيد الكتابي ، فنلاحظ أن الرموز التي تتكون من عدد أقل من جرات القلم تستعمل بشكل أكثر تكرارا ، فإننا نقول عن هذا أنه يوجد ارتباط وثيق بين تكرار وقوع الرموز في النصوص وعدد المعاني المختلفة التي يمكن أن تمثلها .

ونقول أن لكل نظام كتابة تاريخية الخاص الذي يرتبط طبعا بشكل خاص وكبير باللغة والتي طبعا نشأ من أجلها خاضع جزئيا للتشكيل الواعي، وفي هذه الحالة فإن الاقتصاد يضحى به كثيرا في سبيلي مزايا أخرى .

ولذلك نجد أن مبادئ اقتصاديات الاتصال يعد أكثر أهمية في سياق تاريخي كل كتابة معينة من أهميتها في تفسير التطور الغائي المزعوم للكتابة من تمثيل الكلمة ، فالفونيم مرورا بتمثيل المقطع ، فكل نظام كتابة له اقتصاده المتأصل الخاص به .

وبما أن أنظمة الكتابة مفتوحة للتشكيل المراد والمقصود ، فإن المبادئ الاقتصادية يمكن استغلالها بوعي تام وكامل في إصلاح الكتابة ، يعني هذا أن التطورات الاقتصادية يمكن أن تصبح وتكون تطورات مشروطة كما يمكننا ملاحظتها في الأنظمة الفرعية الأخرى للغة . وكون أنظمة الكتابة تترك كثيرا من تمايزات اللغة غير ممثلة ، وهذا أيضا يعني أنها توجد اقتصاد نظام متأصل خاص بها ، و أن معظم أنظمة الكتابة القائمة يمكن أن تكون أكثر كفاءة واقتصادا عما هي عليه ، وهي طبعا تبني تبعا لضرورة رفع الكفاية للحد الأقصى ، كما أن الكتابة نتاج للثقافة أكثر بكثير من الفونولوجيا والنحو على سبيل المثال ، والإقتصاد الذي يميز الأنظمة الفرعية الأخرى .

ومن خلال ما تقدم نلاحظ أن الاقتصاد في الجهد العضلي ، قد وجدناه تقريبا يتعلق بالفونيمات ، والمورفيمات ، ويمكن من هذا النظام أن نتطرق إلى الاقتصاد التركيبي والتصريفي ، ونلحظ ذلك من خلال تزايد عدد وحدات النظام مثلا : بإمكان ربة البيت أن تتحدث عن بنديكس وهو خاص بآلات الغسيل حيث يمكن لربة البيت أن تقوم آلة الغسيل وهنا يتحقق الاقتصاد التركيبي " كلمة واحدة بدلا من ثلاثـ ـة

ومقطعان ، وستة صوتيات في / ب – ن ϕ د – ك ϕ س / بدلا من خمس مقاطع وعشرة صوتيات في / م – ţ – ي – ن – ل – ف – ي/ وفي الحالة الثانية يتحقق الاقتصاد التصريفي [1].

من هنا يمكننا القول أن مانسميه الاقتصاد في الجهد أو حتى في اللسان هو ذلك البحث الدائم عن التوازن بين الحاجات المتناقضة الذي ينبغي تلبيتها ، حاجات التبليغ من جهة وحمول الذاكرة ، والنطق من جهة أخرى وبين الحاجات والخمول صراع دائم ، وإن قيام كل هذه العوامل بدورها تحدها المحضورات المختلفة التي تنحو إلى تجميد اللسان بأبعاد كل تجديد صارع [2].

1) مبادئ في اللسانيات ، أندري مارتنيه ، ترجمة ، د. سعيد ربيه ، ص 154.
2) المرجع نفسه ، ص 154.

رابعا : الإيجاز والاقتصاد اللغوي

إن نفسية الجاحظ الشاعرة وعاطفته المنحازة إلى الاعراب وجدتا في المذهب الذي يميل إلى التقشف وحب البساطة وعدم التكلف ، وهذا ما ذكى قريحته ودغدغ عبقريته ليدفع به النشاط والتفكير في نظرية شاملة عن الاقتصاد الانساني [1].

ويمكن أن نلحظ الاقتصاد في كتابات الجاحظ من خلال البخلاء مثلا : ما نلاحظة عند قاضي البصرة المتزمت في حركاته الجسمية لدفع الأذى عنه ، وما نجده عند صحار العبدي الذي يوجز في أمثلة أثناء الكلام . ونلاحظ أن كل هذه الأمثلة المقدمة تسوقنا إلى بذل أقل جهد ممكن وطبعا الحصول على أكبر منفعة ممكنة .

ومبدأ الاقتصاد هذا تحدثت عنه كل النظريات الحديثة وعممته في جميع الميادين ونلاحظ أن علماء اللسان مهتمون بهذا القانون الجديد ، وهم طبعا يحالفون مبدأ الإقتصاد لأنه بحث على الخفة وسرعة الافهام ، وطبعا نجد أن مثلا الماركسية تخضع لمبدأ الاقتصاد في جميع البنيات الفكرية العليا في الإنسان .

ومن خلال ما نراه عند الجاحظ أنه يقصد بالاقتصاد ، الاقتصاد بعينه ، وأنه كان دوما يدافع عنه وقد استقى ذلك من خلال تجربته اللسانية التي كانت قصيرة ورغم ذلك مكنته من ادراك بعد هذا القانون وتصوره تقريبا على الوجه الذي نفهمه به اليوم ، لأن الجاحظ كثيرا ما كان يستعمل لفظ اقتصاد بدل ايجاز .

ومن الوجوه التي ورد فيها الايجاز وهو يؤدي المعنى الكبير و الواسع للاقتصاد ، ويمكننا أن نلاحظ ذلك من خلال تفضيل مثلا الدين على السياسة فهنا الايجاز يعمل عمله و يكون له الأثر الكبير في ذلك ، وكمثال عن ذلك الخطبة التي القاها عبد ا بن مسعود وحذف منها حرف العطف فجاءت كلها جعل منفصلة وكلنها مؤدية للمعنى فقد قال : .." ما قل وكفى خير مما كثر واللهى" . نفس تنجيها خيـ ر

[1]) النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ، محمد الصغير بناني ، ص 248.

من أمارة لا تحصيها . خير الغنى غنى النفس . خير ما القي في القلب اليقين الخمر جماع الآثار ، النساء حمالة الشيطان . الشباب شعبة من الجنون [1].

ونلاحظ هنا أن الخطبة تحث على الاقتصاد أقصد الايجاز وعدم الاعتناء بأمور السياسة على الدين ويمكننا أن نلحظ الايجاز صورة أصلية للاقتصاد في الكلام والجهد وذلك من خلال تحر الحقيقة والصدق ، لأنه من أجاز في كلامه واقتصد في كلماته ومفرداته أو يمكننا القول حتى في فونيماته . فإنه في هذه الحالة سيفرد لكل معنى لفظ ، أي أنه يخصص لكل معنى لفظ لايتعداه إلى سواه كما يقول الجاحظ (أن يكون الاسـم يحيـط بمعناها ويجلي عن مغزاك وتخرجه عن الشركة) [2] لأنه لو وجدت شخص يتحدث عن حقيقة ما بلفظين فإنه لا محالة سيصدق بواحد ويخطئ بالثاني أي أنه سيخرج عن الحقيقة بأحد اللفظين ، وهنا نجد أن الاقتصاد ملمح من ملامح قول الحقيقة ، فكلما اوجزت صدقت ولم تخطئ ولم تغفل وهنا يمكننا القول السكوت عن الأمر الذي يغنيك خير من الكلام .

وكما يمكن للإنجاز أن يكون كوسيلة تجعلها نفضل الحفظ والمشافهة على التدوين والكتابة لأننا في ايجاز اللفظ و اختصاره فائدة تعليمية كبرة في الحفظ و المشافهة ، لأنك مثلا إذا وجدت خطبة للعضة على سبيل المثال – قصيرة ، وجملها محدودة يمكنك أن تحفظها و أن تستظهرها إن أردت ولن تلجأ إلى الكتابة ولا التدوين فهنا نجد الاقتصاد في اللفظ والجهد والايجاز منهج علمي وتربوي ، أي بهذا الاقتصاد يمكنك تحصيل العلوم ، وحتى الألفاظ التي نستخدمها في هذه الحالة أن تتسم بالخفة والاقتصاد وذلك طبعا لهدف تسييرها للحفظ وذلك بإختيارها من بين الغرر أو الأوابد أو الشواهد.

والإيجاز أيضا باب بواسطته يمكننا من تفضيل السرعة على البطء والارتجال على التفكير لأنه عند اختيار الاقتصاد كطريقة في التعبير كان يقتضي من المتكلم مراعاة البعد المكاني المتمثل في تقصير حجم النص القصيدة والتقليل من عدد أبياتها ، وهنا بما أنه يقتضي مراعاة البعد المكاني فلا بد عليه من مراعاة البعد الزماني ، وخاصة نجد مثل هذه الحالة في تلق المعاني عن طريق المشافهـة ، والاقتصاد

---

[1]) البيان و التبيين للجاحظ ، ج2 ، ص 56.
[2]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 106 .

في هذه الحالة هو أن تجيب فلا تبطئ ، وعليك أن تحفظ بسرعة ما يلقي إليك . ومثال على ذلك ماذكره الأسدي في صفة كلام رجل نعت له موضعا نعت له موضعا من تلك السباسب التي لا أمارة فيها بأقل لفظ موجز ، فوصف ايجاز الناعت وسرعة فهم المنعوت له فقال :

بضربة نعت لم تعد غير أننـ ـي *** عقول لا وصاف الرجال ذكورها [1] .

أو قول الراجز[2] :

مهمهيـ ـن قذفيـ ـن مرتيـ ـن *** جبتهمـا بالنعـ ـت لا بالنعتين.

ظهرا هما مثل ظهور الترسيـ ـن *** قطعتـ ـه بالام لا بالسمتيـ ـن.

ومن خلال البيتين نلاحظ أن النعت يتم فيه الايجاز ويتم في ضربة واحدة ، ولا يعول في هذه الحالة إلا على النفس ، فهذا نوع من المغامرة ونوع من الارتجال ، وكما نعلم أن الارتجال يحتاج طبعا إلى الايجاز والاختصار .

ويجعلنا هذا الاقتصاد تفضيل الشعر الهجائي وشعر المراتي على غيرها من أنماط الشعر الأخرة ، وقد كان الكثيرين يصنفون الهجاء والمراتي ضمن الايجاز و الاقتصاد ، فقد قيل لعقيل بن علفة لم لاتطيل الهجاء فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق [3] ، وكما قيل لأبي المهموز لم لا تطيل الهجاء : قال : لم أجد المثل النادر إلا بيتا واحـدا ولم أجد الشعر السائر إلا بيتا واحدا [4] ، وقال رؤبة في هذا المعنى : الهدم أسرع من البناء [5].

---

1) المصدر نفسه ، ص 156 .
2) البيان والتبيين للجاحظ ، ج2 ، ص 58
3) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 207 ، وج2 ، ص 68.
4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 16/.207
5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 207 / 16

إن الجاحظ لم يكن يفهم الإيجاز اللغوي إلا على أساس أنه الاقتصاد في اللغة ، وفالإقتصاد عنده يتلخص في كمية الألفاظ التي يختارها المتكلم للتعبير بها عن معاينة ، فعدد الحروف وعدد الكلمات هي التي دائما تشكل وتحدد موضوع الإيجاز والإطالة ، أي التمكن من احراز اكثر ما يمكن من المعاني بأقل مايمكن من الألفاظ فنراه ونجده دوما يكرر أن أحسن الكلام هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معاينة ، وأما يقول عنه ، ما كان أبعد معنى وأقل لفظا [(1)] أي حسن الافهام والوضوح وطبعا مع الاعتماد على القليل من الكلام ، والجاحظ يرăى أن هذا الاقتصاد نجده واضحا وجليا في أقوال الرسوم الكريم لأنه لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أقصد لفظا كما رأينا ذلك طبعا لأن ا خصه بالإيجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعاني .

إذن يمكننا القول أن المعاني التي نريد تبليغها حتى وأن كانت كثيرة ومتعددة ، فإنه لابد من الايجاز والإطالة ليست مطلوبة في الألفاظ ولا في الاكثار منها ، لأن هذه الاطالة لا محالة ستوصل صاحبها إلى التكلف والتشدق ، لكن الايجاز والاقتصاد سيكون لهما الفضل في تجنيب المتكلم أسباب هذا التكلف والتخلص منه.

ولكن حديثنا عن الاقتصاد والايجاز هذان ، لايمنعنا من ترادد بعض الكلمات وبعض الحروف ويمكننا أن نلاحظ ذلك في القصص القرآنية التي ذكرها ا سبحانه وتعالى مثل قصة موسى وهود و هارون ... وكذلك يمكننا الاستشهاد يقول أندريه مارتنيه :" إن قولنا أن اللغة لا يظل فيها حيا من الكلمات إلا ما يؤدي وظيفة تبليغيه ، وأن كل عنصر في الجملة يستدعي جهدا لفظيا موازيا للوظيفة التي يقوم بها ... و أن المتطلبات الواقعية لكل أداء لساني تقتضي أن يكون شكله دائما وفي جميع المستويات مرودا" [(2)] .

وهنا نجد نوعين من الايجاز الذي نتحدث عنه فهناك الايجاز بالحذف وفيه يتم حذف أجزاء التركيب اللفظي، وذلك كلما سنحت الفرصة للحذف، ومن خلال هذا الحـ ذف يظهر المعنى لوحده ويراه

---

[1]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 111 /8.
[2]) أصول اللسانيات العامة ، ص 180.

العيان بكل بساطة ، ونستدل بقول عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيد قومك قال : أنا ، قال لوكنت كذلك لم تقله[1] فضمير أنا كفى ليدل على أن الكلام غير بليغ والمتكلم غير صادق لأن المقام هنا يتطلب الاقتصاد والحذف، وفي هذه الحالة السكوت أبلغ من الكلام . ونجد أمثلة في هذه الحالة يكون فيها الحذف : مثلا ما نجده في قول الرسول(ص)عندما جاءه المهاجرون قالوا يارسول ا إن الأنصار قد فضلو بأنهم أووا ونصروا وفعلوا وفعلوا قال: النبي عليه السلام، أتعرفون ذلك لهم Þ قال نعم ، قال : فإن ذاك. ليس في الحديث غير هذا ، يريد : إن ذاك شكرو مكافأة ولقد قدروا هذا الحذف بالشكر و المكافأة .

ويمكن أن يحدث الحذف بأكثر من هذه الصورة بل تبقى الجملة عبارة عن حروف هجائية فقط وهي قمة الاقتصاد ، ويمكن اعتبار الاشارة كذلك من أنواع الحذف ، بل يمكن أن يكون في بعض الأحيان حذف للكلام برمته ويمكن أن يكون استغناء عن النحو ومشاكله بوسائل أقل تعقيدا .

ويمكننا أن نتحدث عن الحذف عند الجاحظ وخاصة أنه مصاحب للايجاز في هذه الحالة :

- حذف يكتفي فيه ببعض الألفاظ التي لاتكون جملة مثل حديث ، فإن ذاك.
- حذف يكتفي فيه ببعض الألفاظ التي لاتستغني عن غيرها مثل : لا وكأن قد .
- حذف يكتفي فيه ببعض الحروف مثل القافية.
- حذف ليتغنى فيه تماما عن الألفاظ ويكتفي فيه بالحركات الجسمية وغيرها كالاشارة .
- حذف تعطل فيه جميع أصناف الدلالات وهذا مثل الصمت والإضراب .

وهكذا يتقلص الكلام في إيجاز الحذف شيئا فشيئا فيحدث له انتقال من الكلمات إلى حروف المعاني ، إلى حروف الهجاء إلى الإشارة ويبلغ الاقتصاد والتام حيث تبقى المعاني غير موسومة .

مما تقدم نلاحظ أنه كلما صعدنا بدرجة نحو الاقتصاد ازدادت الدلالة اختصار ودقة وكما يقول الجاحظ :" وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون المعنى " [2] .ويمكننا أن نعطي صورة للاقتصاد في الجهد العضلي وهي الوقف وذلك في أبسط أشكاله .

---

[1]) البيان والتبين ، الجاحظ ، ج1 ، ص 211 /15.
[2]) البيان والتبين ، الجاحظ ، ج1 ، ص 11/75.

الفصل الثاني
الاقتصاد اللغوي من الوجهة النحوية.

الفصل الثاني
الاقتصاد اللغوي من الوجهة النحوية.

أ : الحـــــذف

ب : الإضمـــــار

ج- التنويـــــن

د- التنغيـــــم

أولا : الحـــذف : Délation:

1- تعريـف الحــذف :

تعريف الحذف لغة : هو أحد أقسام الإنجاز وهو ظاهرة بلاغية غير مقصورة على اللغة العربية فقط ولكنها ظاهرة معروفة في كل لغات العالم ، تؤثر في التركيب والصوت ولذا كانت من الظواهر العالمية في اللغات إذ أنها ليست وقفا على لغة دون أخرة [1].

ويعد الحذف ظاهرة أصيلة في العربية من حيث الوجود والدراسة ، فقد وردت هذه الظاهرة في القرآن الكريم كما وردت في شواهد النحاة والبلاغيين ، فالنحوي ينظر إليها من ناحية هل يجوز الحذف أم لا ؟ ، والبلاغي ينظر إلى الحذف من زاوية أداء الجملة للمعنى .

ويقال في اللغة حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه ، والحذفة القطعة من الثوب ، والحذف والرمي عن جانب والضرب عن جانب وحذفه بالعصا وبالسيف يحذفه حذفا [2] وحذف الشيء إسقاطه ، ومنه حذفت من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذت [3] والحذف أيضا قطع الشيء من الطرف فهو الإسقاط ومن الشعر : الأخذ وحذف السلام خففه ولم يطيل القول به ، يقال إن الحذف هو الرجم بالشيء .

ويعرف الزمخشري الحذف لغة : بأنه حذف ذنب الفرس إذا قطع طرفه ومنه حذف الصانع الشيء إذا سواء تسوية حسنة كأنه حذف كل ما يجب حذفه حتى خلا من العيب .

والحذف في اصطلاح البلاغيين هو حذف ما في العبارة من كلمات من غير أن يختل المعنى بشرط أن يقوم دليل لفظي أو معنوي على المحذوف [4] في قوله تعالى :" ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن ا " [5] . أي ليقولن خلقها ا .

---

[1] علم الجمال اللغوي (المعاني – البيان – البديع) محمود سليمان ياقوت – دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1995 ، 307/1.
[2] لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (حذف)
[3] المصدر نفسه مادة (حذف)
[4] البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، بكري شيخ أمين ، 191/1.
[5] سورة لقمان الآية 25.

وفي الاصطلاح أيضا أن الحذف هو حذف لفظ أو أكثر من أجزاء الجملة مع قيام قرنية تعين المحذوف[1].

أما المحدثون فيعرفون الحـذف بأنـه :" حـذف أحد العناصر من بناء الجملة " ويمثلون له بإسقاط كلمة (That) من قولهم " I said he was ready" ونلاحظ أن أصل الجملة هو : " I said Ihat he was ready " فسقطت منها كلمة That ولم يتغير معنى الجملة [2] .

ومهما اختلف مفهوم الحذف ، فإنه لايكاد يخرج عن كونه قطع جزء من الجملة سواء كان حركة أوحرفا أو كلمة أو تركيبا ، مع احتواء هذه الجملة دليل يدل على ما حذف ، فالحذف ظاهرة لغوية هدفها الايجاز والاقتصاد ، حيث تؤثر في المتلقي فتجعله يتصور ما يناسب ويعطيه متسعا يتوهم فيه الكثير من الأشياء التي يحتمل أن يحمل معناها اللفظ المحذوف [3]، ويشـترط أن لا يـؤدي هذا الحذف إلى الغموض أو اختلال الوزن أو فساد المعنى .

ويلجأ إلى الحذف للأيجاز والاختصار ، وترك الخيال للمستقبل كي يتصور كل أمر ممكن ويكون الحذف مراعاة للوزن أو الوضوح ، بحيث لا يختل المعنى ولا يفسد [4].

من خلال ماتقدم من تعريفات لغوية واصطلاحية يتبين القيمة الإقتصادية للحذف التي نلاحظها بوضوح ، حيـث أن هذه المفاهيـم كلها توحي بالناحية الاقتصادية للحذف بما يعمد إليه من حذف واختصار في الحروف أو الكلمات من الجملة والمفردة ولتأكيد هذه القيمة لابد من الغوص في الحذف ونبدأ بـ :

---

1) المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ، محمد رشاد الحمزاوي ، 1987 ، ص 41.
2) علم الجمال اللغوي ، محمد سليمان ياقوت ، 307/1.
3) أثر النحاة في البحث البلاغي ، عبد القادر حسين ، دار النهضة مصر للطبع والنشر الفجالة ، القاهرة ، ص 244.
4) المرجع نفسه .

2- أدلة الحذف :

للحذف أدلة بواسطتها تتم معرفة ما إذا كان هناك حذف العبارة أو الجملة وهذه الأدلة تتنوع ، فمنها مايتعلق بالتركيب والجملة ، فإذا ذكرت كلمة ولم يذكرها ما يكملها ، نقول إنه حذف ، فإذا كان الفعل والفاعل متلازمين ، كان من الأجدر عند حذف أحدهما تقديره .

أ- **العقل** : الذي ميز به ا بني البشر عن باقي الكائنـات الأخرى فلو قرأنا مثلا قولـه تعالـى : " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير" [1] . وقد دل على وجود الحذف هنا العادة الشرعية . وقد يدل العقل والتعيين على الحذف نحو قوله تعالى :" وجاء ربك " [2] أي جاء أمر ربك فقد دل العقل على أصل الحذف وهو الأمر ، لأن الباري سيتحيل مجيئه عقلا وعين المحذوف وهو الأمر .

ب- **العقل والعادة** : ويدلان على المحذوف فالعقل يدل على أصل الحذف وعادة الناس تدل على تعيين المحذوف نحو قوله تعالى :" فذلكن الذي لمتنني فيه" [3] وهنا تقدير اللوم عن المراودة وليس على الحب لأن هذا الأخير خارج عن نطاق الفرد بينما المراودة من عادة الانسان لذا جاء اللوم عليها لأنه بالامكان التخلص منها .

ومن أدلة الحذف أيضا أن تدل العادة على تعيين المحذوف فلو تعود الناس القيام بنشاط معين في منطقة معينة فإن معرفة الناس لهذه المنطقة تجعلهم يحذفون إسما أو مكان فلو قلت مثلا : ملتقى الشعراء في العصر الجاهلي ، فإنك لامحالة كانك قلت : ملتقى الشعراء في سوق عكاظ فقد دلت المادة على تعيين المحذوف .

ومن أدلته أن يدل اللفظ والشروع في الفعل على تعيين المحذوف فإذا قلت (باسم ا) هممت للقيام بعمل ما فقد دل الشروع على المحذوف وهو مثلا بدء الكتابة ، ودل اللفظ كذلك على هذا المحذوف والسر البلاغي في البسملة هو الفعل المحذوف والمقدر في سياق الكلام .

---

1) سورة المائدة ، الآية 03.
2) سورة الفجر ، الآية 22.
3) سورة يوسف ، الآية 32

وقد تدل المشاهدة أيضا على المحذوف فيقترن الكلام بالفعل وهذا ما أطلق عليه القزويني (دليل اقتران الكلام بالفعل) وأعطى لنا مثلا بقوله :" كقولك لمن أعرس بالرفـاء والبنين ، فإنـه يفيد بالرفـاء والبنين أعرست [1].

ونسوق حديثنا من الحذف ونتطرق إلى :

3- شروط الحذف وأدواته :

بعد أن تبين لنا أن الحذف سمة من سمات اللغات المختلفة ولاسيما العربية فهي ظاهرة يتطلبها الحال ويفرضها التعامل مع الألفاظ والحروف ، وإنما من يزيد النص حسنا وجمالا يضاف إلى ذلك أنها تجنبنا الثقل الذي يسبب التقاء الساكنين أو عدم تجانس الحروف كما يعد الحذف ضروريا ، وبخاصة في حالة طول العنصر اللغوي وبعبارة أخرى طول الجملة لأن هذا الطول يسبب مللا وتكرارا غير مفيدين كما أنه يساعد على الفهم السريع للمعنى ويجعل القارئ في اتصال دائم بالعناصر الأخرى المكونة للجملة فيسهل عليه الربط بينهما . وشروطه كما يلي :

1 - وجود دليل يدل دلالة واضحة على المحذوف واشترط اللغويون وجود الدليل لإمكانية الحذف على أن يكون هذا الدليل قائما داخل السياق أو يفهم من اللفظ لذلك ، قالـوا :" لا بد أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقه " [2] ، ولايشترط أن يسبق الدليل المحذوف أو يلحق به ، فإذا قام الدليل للمحذوف اعتبر كأنه موجود وهذا مابينه ابن جني في قوله :" المحذوف للدلالة عليه بمنزلة الملفوظ به " [3] والدليل قد يكون مقاليا يعرف عن طريق الاعراب كورود الفعل بلا فاعل ، وقد يكون حاليا ويعرف من معنى الكلام أما إذا كان المحذوف وضلة فيشترط أن لايؤدي الحذف إلى الاخلال بالمعنى .

ومثاله قول اعرابي من بني كلاب ورد في كتاب " الكامل للمبرد" [4].

---

[1]) الايضاح في علوم البلاغة والبيان والبديع ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ، 195/1.
[2]) البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ص 111/3.
[3]) الخصائص ، ابن جني ، 288/1
[4]) الكامل المبرد ، 21/1.

هوى ناقتـي خلفي وقدامي الهوى *** وإنـي وإيـاهـا لمختلفـ ـ ـان.

تحـن فتبـدي ما بها من صبابـة *** وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني.

أي (القضى علي) فهنا حذف الجار والمجرور ودل وعليه الكلام ، لأن الأسى يقضي على الانسان ولايقضيه أو يفنيه .

2- أن لا يؤدي الحذف إلى اختصار المختصر ، وهذا في حالة نيابة الحروف عن الأسماء أو الأفعال ، فلا يمكن حذف هذه الحروف لأن في حذفها اختصار المختصر ، وعليه نجد النحاة لم يجيزوا حذف العوامل الضعيفة كحروف الجر ، وجوازم المضارع ونواصبه إلا في مواضع تكون الدلالة عليها قوية ، ويكون الاستعمال فيها كثيرا ، معنى هذا أنه تجب علينا تخير المواضع التي تحذف فيها هذه الحروف فلا يكون الكلام مبتورا .

3- أن لا يكون المحذوف عوضا عن شيء لم يجز الحذف فيه لأنه يؤدي إلى سوء فهم .

4- أن لا يـؤدي الحذف إلى صورة مرفوضـة أو يكون أكثر ثقلا ، وذلك بتوالي أربعـة متحركات أو تجاور حرفين ثقيلين أو تجاور ساكنين ، فالعربي يسعى إلى اعتدال الكلمة على لسانه وإقامة وزن لها .

5- فهم الدلالة من خلال السياق ، يشترط عند الحذف أن تفهم دلالة الكلمة من خلال السياق بحيث يكون المعنى المقصود الوصول إليه مفهوم لدى السامع أو المتلقي ، أي أن معنى الكلام لا يتغير سواء ذكر المحذوف أو لم يذكر ، لذلك يقول تمام حسان أن الحذف هو إسقاط قرنية أغنت عنها قرائن أخرى [(1)] وعليه فإنه في حالة التقدير لا بدان تقال ولا يقدر إلا أشد المحذوفات.

وتتطرق الآن إلى الأدوات التي بواسطتها يمكن للحذف أن يتم وهي :

الاقتطاع : وهو حذف بعض حروف الكلمة وبقاء بعضها الآخر ، نحو قوله تعالى :" وامسحوا برؤوسكم"[(2)] فأضل الباء هنا بعض ، فحذفت العين والضاء وبقين الباء .

---

1) اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ص 239.

2) سورة المائدة الآية 06.

الاكتفاء : أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحد عن الآخر لنكتة ، ويختص غالبا بالارتباط العطفي [1].

الاحتباك : يقول السيوطي أن الاحتباك هو من ألطف أنواع الحذف وأبدعها وقل من التفت إليه من أهل البلاغة ، أما الزركشي فقد أطلق عليه اسم ، الحذف المقابلي .

وتعريفه هو أن يجتمع متقابلان ، فيحذف من واحد منهما مقابلة لدلالة الثاني عليه [2] نحو قوله تعالى :" وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء" [3] أي تدخل غير بيضاء ، ثم تخرج بيضاء ناصعة ، وسمي بالاحتباك لأنه مأخوذ من الحبك وهو الشديد الاحكام ، نقول حبك الثوب أي سد ما بين خيوطه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق .

الاختزال : هو حذف كلمة أو اكثر ، وله أقسام عديدة وهي :

- كون الحرف المحذوف له وظيفة نحوية ، نحو تحذف الحروف لأجل التخفيف لا غير لذلك أننا عندما نتلفظ الكلمة لايكون في لفظنا هذا ذكر لذلك الحرف المحذوف نحو قوله تعالى :" ولم أك بغيا" [4] الأصل في الفعل (أك) هو(أكن) فهو مجزوم بالسكون غير أن هذه النون قد حذفت ، أما الحروف التي تؤدي وظيفة نحوية دلالية ، ولكن لحذفها لابد من وجود دليل في السياق يدل عليه نحو قوله تعالى :" قالوا تا تفتئو اتذكر يوسف" [5] أي لا تفتأ ، نلاحظ حذف لا النافية من التقدير وتقديرها يتضمنه التركيب.

- النظر من زاوية وجود الدليل ، نجد أن هناك حذفا لايشترط فيه قيام دليل مقام المحذوف وهذا النوع يتطلب دراية وخبرة بحيث يستطيع المتلقي تقدير المحذوف وهنا يوافق المرسل في قصده ، أما الثاني فيشرط فيه قيام الدليل الذي يمكن بواسطته هداية المتلقي إلى التقدير الحسن ، وهذا النوع قال به اللغويون وحببوه أما إذا نظرنا إلى الحذف من الناحية البلاغية فإننا نجده يتعدد في حذف المفردات وحذف الجمل وحذف التراكيب.

---

1) الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ج2 ، ص61.
2) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي . ت محمد أبو الفضل ابراهيم ، ج3 ، ص129.
3) سورة النمل ، الآية 12.
4) سورة مريم ، الآية 20.
5) سورة يوسف ، الآية 85

ومن هذه الشروط نجد أن نقول أن هذا الحذف لايتم إلا بقواعد متينة يقوم على أساسها وأولها أمن اللبـس وقد يستخدم هذا الحذف لتقوية المعنى وتوكيده وتسهيلا للنطق والفهم وتقليلا للجهد المبذول دون خلال بالمعنى ، فشروط الحذف هذه تضيف سندا كبيرا لاقتصاد اللغة بحيث بتمكان الدارس أو الكاتب أو المؤلف أن يكون شغوفا بهذه اللغة وهذا نظرا لما تحويه من شروط تساعده على ابراز ووضع مايحتاجه دونما افراط أو اطناب ولكن بالحجم القليل والكمي البسط لكن بالمعنى الكبير .

إذن هذه الشروط خادمة جيدة للغة وكذلك لعلمية الاقتصاد فيها ، فالحذف هو أكبر الخدم لهذه الظاهرة أو السمة التي توسمتها اللغة العربية وهي ظاهرة الاقتصاد ، فالحذف دون اخلال بالمعنى يعد الخدمة الحقيقية لهذه اللغة والشروط التي يحملها هذا الحذف تعد الهدف الذي ترمي إليه أي لغة .

4- أنواع الحذف :

تعد الجمل الفضاء البلاغي الواسع التي تدرس فيه ظاهرة الحذف ويمكن داخلها حذف ما يمكن من التراكيب والمفردات ، وقد اطلق عليها عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ، ويقوم أن النظم لايحصل بالكلمة الواحدة ، بل بضم المفردات بعضها إلى بعض [1] ، ويقول داود عبده :" الجملة هي حصيلة تركيب المفردات في نمط معين حسب قواعد لغوية محددة" [2].

إذن الجملة هي المراح الواسع لدراسة ظاهرة الحذف وذلك لما تحويه من معنى ورغم عدم تلفظ المتكلم بالكلمة إلا أنه يمكن للمعن أن يتداركها بدلالته عليها في البنى الداخلية لها .

1) حذف المفردات أو ظاهرة الاسناد البلاغي :

- حذف المسند إليه :" هو أحد ركني الجملة وهو الركن الثابة فيها " [3] وبفضله تتحدد المفردات الأخرى من الناحية الاعرابية وهنا يمكن أن نتطرق إلى الأغراض البلاغية التي يحذفها المسند إليه وتتمثل في :

الذ

---

1) نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم ، درويش الجندي ، ص 88 .

2) مجلة الفكر العربي ، الألبسة أحداث العلوم الانسانية ، العدد 8 – 9 الصادر في 15 مارس 1979 الجماهيرية الليبية ، ص 06 وهو يتحدث عن مقال تشوسكى المكتوب عام 1973 تحت عنوان " تشوسكي والثورة اللغوية "

3) البلاغة العربية في ثوبها الجديد بكري الشيخ أمين ، 121/1.

- الاحتراز من العبث : على الرغم من كون المحذوف عنصر أساسيا في الكلام إلا أنه في بعض الأحيان يحذف ولا يذكر . فتقوم القرنية لتبين نوعه وتبين موضوعه ، لذلك نجد البهاء السبكي يرă بأن المسند إليه إذا ترك لفظا فهو متلفت إليه معنى لأنه لابد من تقديره [1] ، ويكون ذلك سهلا على المتلقى إدراكه ، نحو قوله تعالى :" يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور " [2].

- ضيق المقام عن إطالة الكلام : يتأثر هذا العنصر في الغالب بالمتكلم في مجال الإبداع وارتباطه بالموقف النفسي الذي يعايشه [3] فيتأثر المتكلم بالظروف الخارجية التي نحيط به كما لو كان يتحدث إلى مريض لا يستطيع المتابعة إذا فصل أو كان يخاف من فوات فرصة أو ينبه على خطر حال ، ومثاله أن يرă سيارة قادمة بسرعة ويرă طفلا واقفا وسط الطريق ، فيحذره منها بقوله :" سيارة ، سيارة" ليبتعد فالمقام هنا اجبره على الاختصار لأن الشيء المهم هو تنبيه الطفل لكي يبتعد عن الطريق، فحذف جملة : ابتعد ياطفل السيارة قادمة.

- وقد يخضع المتكلم إلى ظروف داخلية تؤثر عليه فيحاول توصيل كلامه مستخدما الاختصار في ذلك كان يكون المتكلم يتألم من صداع مثلا فيضع يده على رأسه ويقول : " رأسي ، رأسي " لمن سأله ، مابك þ نلاحظ أنه يختصر جوابه في عبارة موجزة مختصرة بحيث يقتصد على نفسه الكلام بذلك يستفيد من الناحية ليفهم السائل ببساطة وبسرعة ولكي لايزيد ألمه وهنا نقول أنه اقتصد على نفسه الجهد والألم وأجاب السائل وهذا الحذف هنا أفاد من جميع النواحي .

- تسهيل الإنكار عند الحاجة واخفاء الأمر عن غير المخاطب : في هذه الحالة اثبات ذلك على المتكلم مهما حاول تقديرا لمحذوف بحيث يكون في امكانية المتكلم ورفض هذا التقدير وانكاره ، ومجال هذا الحذف نجده في الحروب ، فخوفا من التجسس المنتشر والعيون المراقبة يتحدث أحد الزملاء إلى الآخر فيحذف مفردات ، غير أن زميله يفهمه ، فلو قال أحدهما للآخر (انتهت) وسكت ، وهو يقصد انتهاء المسألة فإن المستمع لهما لا يستطيع فهمها أو اثبات موضوع المحادثة [4].

---

[1]) في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث ، مهدي المخزومي ، مصطفى الباي ، ص 90 .
[2]) سورة الحديد ، الآية 06
[3]) البلاغة الأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ص 324.
[4]) علوم البلاغة البيان ، المعاني والبديع ، أحمد مصطفى المراغي ، ص 83.

- تكثيرا لفائدة باتجاه عدة احتمالات للمعنى : يحذف المتكلم المسند إليه في هذه الحالة للحصول على معاني متعددة لكلامه ، بحيث يكون لكل شخص معنى .

- اتباع الاستعمال الوارد عند العرب : توجد بعض الاستعمالات المعروفة في كلام العرب بحيث يتم فيها حذف لبعض المفردات ، كقولهم في المثل " رمية من غير رامي " وتقديره هذه رمية .

- المحافظة على الوزن الموسيقي : يحذف المسند إليه للحفاظ على الوزن الموسيقي وعلى السجع وعلى النغمة ، نحو قولهم : من طابت سريرته حمدت سيرته ، وتقديره : حمد الناس سيرته حيث حذف المسند إليه .

- ظهور المحذوف وتعيينه : إذا كان المحذوف ظاهرا واضحا في الكلام فلا مبال لذكره نحو قوله تعالى : " علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا" [1] فلا يوجد هناك من شك ، بأن عالم الغيب هو ا .

- عدم الفائدة من ذكره: يحذف المسند إليه من الجملة إذا كان ذكره لا يضيف فائدة فلو قال أحدهم : سرق الاسرق بيتي ، فكلمة السارق لا فائدة تحصى من ذكرها فيقال : سرق بيتي .

1-1- ΘƤع الـΥJ : الفاعل هو الاسم الذي اسند إليه الفعل وحكمه الرفع [2] ، ويكون الفاعل ظاهرا ، أو ضميرا نحو : خرج زيد والثاني نحو قول ابن مالك في هذا : [3].

وبعـد فعـل فاعـل ان ظهـر *** فهـو وإلا فضميـر استتـر .

[1] سورة الجن ، الآية 26.
[2] شرح ابن عقيل على القية ابن مالك ، محمد بن يحي الدين عبد الحميد ، 74/2.
[3] المرجع نفسه ، ص 75/2 .

ويأتي الفاعل عادة متأخرا عن الفعل ، ويمكن أن يأتي فاعل واحد لفعلين فيعرب فاعلا للفعل الثاني أما الأول ففاعله مستتر ، ويمكن أن يحدث حذفه خلل في الجملة ، وقد حدر النحاة اربعة حالات الحذف هي :

- أن يكون عامل الفاعل مبنيا للمجهول ، أي أن يكون الفعل الذي قام به الفاعل مبنيا للمجهول ، وهنا يحذف الفاعل ويحل محله اسم يعرف بنائب الفاعل نحو : ا يخشى عقابه أي ا يخشى الناس عقابه فحذف الناس وناب عنها عقابه وهي نائب الفاعل .

- أن يكون الفاعل متمثلا في واو الجماعة أو ياء المخاطبة وفعل مؤكد بنون التوكيد مثل : يدخلون فتعرب بأنها فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل فإذا تأكد الفعل يصبح ليدخلنن بين وتحذف الواو لتجنب الثقل والتقاء الساكنين.

- تحذف الفاعل إذا كان عامله مصدرا : نحو : ضربا مبرحا اصبحته ، فالفاعل محذوف يفهم من حيث السياق ، أن الضرب يقع من الانسان ، فأصله ضربته ضربا مبرحا في الصباح ، فضربت شملت الفعل والفاعل وهذا الأخير هو ضمير متصل (التاء) ولما كان العامل في الفاعل مصدرا جاز حذف الفاعل على أن يقدر من خلال السياق .

- يحذف الفاعل مع عامله بشرط وجود دليل يقوم عليهما : مثاله : أن تسأل أحدا من رأيت þ فيرد عليك : محمدا، أي رأيت محمدا ، نلاحظ أن الرد احتوى على حذف الفاعل والفعل معا ، أما الأغراض البلاغية التي يحذف لها الفاعل فهي تتمحور بين الأغراض اللفضية والأغراض المعنوية . واللفظية تتمثل في :
    - القصد إلى الايجاز.
    - المحافظة على السجع.

- المحافظة على الوزن في الكلام المنظوم نحو قول الأعشى:

علقتهـا عرضا وعلقت رجـلا *** غيري وعلق أخرى غيرها الرجل (1) .

والتقدير علق الرجل أخرى ، للحفاظ على الوزن بني الفعل للمجهول .

والمعنوية تتمثل في :

- كون الفاعل معلوما لدى المخاطب .
- كون الفاعل غير معلوم لدى المتكلم ، ولا يمكن معرفته من خلال الفعل فيلجأ إلى حذفه .
- رغبة المخاطب في تعظيم الفاعل ، فيصونه من الاقتران بالمفعول به في الذكر أو رغبة في تحقير الفاعل ، فيصون لسانه عن النطق به أو تجنبا لذكره وذلك لأي سبب ، فيلجأ المخاطب إلى اغفاله من مضمون الخطاب المراد إيصاله إلى المخاطب .

1-2- حذف المسند : المسند هو الركن الثاني في الجملة ويكون إما اسم أو فعل أو خبر المبتدأ أوالفعل ناقص أو لحرف ناسخ ، واغراض حذفه كما يلي :

- الاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب التحسر والتوجع نحو قول الفرزدق :

وليـس قولك من هذا بضائـره *** العرب تعرف من أنكرت والعجم (2).

وتقديره والعجم تعرف أيضا .

---

1) ديوان الأعشى ، ص 145.
2) شرح ديوان الفرزدق ، 178/2.

- الثقة بشهادة العقل دون الاعتماد على اللفظ نحو قول الأعشى :

إن محـ ـلا وإن مـ ـ رتحـ ـلا *** وإن في السفـ ـر إذا مضوا مهـ ـلا [1].

فالشاعر يقصد بقوله أن محلا لنا في الدنيا وأن مرتحلا لنا إلى الآخرة فحذف هنا خبر الحرف الناسخ إن و المتمثل في شبه الجملة من الجار والمجرور (لنا) التي هي في محل رفع خبر إن .

- الدلالة على الاختصاص : نحو قوله تعالى : " قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي " [2] . فأصل الكلام تكرار "تملكون" للتوكيد إلا أن الفعل "تملكون" حذف وانفصل عليه الضمير العائد على جمع المخاطب "أنتم" وهذا لإفادة الاختصاص لأن الناس هم المختصون بالشح [3] .

- المحافظة على الوزن : يحذف المسند للحفاظ على الوزن في الشعر ، وهذا ماله لاحظنا في بيت الفرزدق السابق فحفاظا منه على القافية ، ذهب إلى ترك مايخل بها على الرغم من ضرورة وجوده ، واكتفى بما يحافظ على وزن قصيدته ، وبما يدل على المحذوف.

- بلاغة العرب في استعمال الأساليب : لجأت العرب إلى أسلوب الحذف إن كانت الجملة جوابا على الاستفهام نحو : هل رأيت حليم ؟ ألم يكن لاستفهام متضمنا الحذف ؟ كأن السائل يريد أن يستفهم عن شيء معين يتمثل في رؤية حليم على وجه معين ، كما استعملت العرب الحذف في الجملة الواقعة بعد "

- إذا " الفجائية ، كذلك يحذف الفعل لكثرة استعماله عند العرب كما ورد عند سيبويه [4] نحو قول ذي الرمة :

ديـ ـار مية إن مـ ـي مساعفـ ـة *** ولايرى مثلهـ ـا عجم ولاعـ ـرب.

---

[1] ديوان الأعشى ، ص 137

[2] سورة الاسراء ، الآية 100.

[3] شرح ابن عقيل ، محمد بن يحي عبد الحميد ، 201/1.

[4] الكتاب سيبويه ، 280/1.

- الديوان ذي الرمة .

الشاهد فيه "ديار" حيث نصبها بفعل محذوف هو : أذكر ديارمي وحذف الفعل هنا لبروز دلالته في سياق الجملة من خلال السياق .

1-3- ϷΘ ϵ المامئات وlljþƨ ƷŰǴي : يمكن للمسند والمسند إليه أن يؤديا المعنى لوحدهما لكن في بعض الأحيان تحتاجان إلى مفردات أخرă لتتمة المعنى وهذه المفردات أو الأدوات أن صح القول تعرف عند النحاة بالفضلة وهي تتنوع بين المفعول ، الصفة والموصوف ، العطف والمعطوف الحال ومثالا لحذف الفضلة نأخذ حذف المفعول به .

1-4- ϷΘ ϵ المƧyول LjǴ : يقول ابن جني :" حذف المفعول كثير ، فصيح وعذب ولايركبه إلا من قوي طبعه وعذب وضعه " [1]، ويكون المفعول صحبة الفعل والفاعل ، كما يمكنه أن يتقدم عليهما في بعض الأحيان ومن الأغراض البلاغية التي تؤدي إلى حذف المفعول .

- افادة التعميم مع الاختصار ، ومثال ذاك قوله تعالى :" وا يدعو الى دار السلم" [2] ، أي يدعو جميع عباده ، لأن حذف المعمول يؤذن بالعموم[3] فهو لو قال يدعو جميع عباده لأفاد التعميم لكنه جانب الاختصار ونلاحظ أن الآية جاءت شاملة لمعناها على الرغم من الحذف الموصوفة به .

- تنزيل الفعل المتعدد منزلة الفعل الازم إن لم يكن هناك دافع لذكر المفعول به ، وتم الكلام بالفعل والفاعل وصار حذف المفعول به سمة الاختصار والاقتصاد في الجانب البلاغي ويكتفي الفعل اللازم بفاعله وذلك لكون الفعل متعديا نحو قول البحتري [4].

إذا بعـدت أبلـت وان قربت شفـت *** فهجرانها يبلـى ولقيانها يشفـي.

---

[1] المحتسب في تبين وجوه شراء القراءات واليضاح عنها ، ابن جني ، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، القاهرة 1969 ، 335/2.

[2] سورة يونس ، الآية 25.

[3] في البلاغة العربية ، علم المعاني عبد العزيز عتيق ، ص 142

[4] ديوان البحتري ، شرح وتقديم حنا الفاخوري ، 111/2.

- البيان بعد الإبهام لتقرير المعنى في النفس : وتكثر الظاهرة بعد فعل المشيئة ، إذا سبق بأداة شرط على أن يكون المفعول عاما لا خاصا ، نحو قوله تعالى :" ولو شاء ا لجمعهم على الهدă" [1] والتقدير هو : لو شاء ا أن يجمعهم على الهدă لجمعهم.

- التأديب في الحديث : ويحدث حذف المفعول وذلك حفاظا على أدب الجلوس ، وتهذيب الكلام نحو قول عائشة رضي ا عنها :" كنت أنا ورسول ا صلى ا عليه وسلم نغسل من إناء واحد فوا ما رأيت منه ولا رأă مني " [2]، ففي حديث عائشة حذف المفعول به وهو (العورة) ، أي ما رأيت عورته ولا رأă عورتي.

- يحذف المفعول به إذا تقدم مثله في اللفظ نحو قوله تعالى:" يمحو ا ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتب "[3] و التقدير ويثبت ما يشاء.
- رعاية الفاصلة ، يحذف المفعول به لغرض المحافظة على وحدة الحرف الأخير وهذا ما نلاحظه في القرآن الكريم وفي الشعر وفي النثر المسجوع ، و متمثل مواطن حذف المفعول به في .
- أن يكون المقصود من الكلام بيان حالتي الفاعل والفعل معا .
- يحذف المفعول به لكونه جليا في سياق الكلام و الجملة .
- يحذف كثيرا بعد (لو شاء) كما سبق ذكره .

كما يحذف الفعل والفاعل المفعول به : وذلك في الحالات التالية :

- حالة التحذير.
- تقدم المفعول به واتصال الفعل الذي أتى بعد ضمير عائد على ذلك المفعول.
- يحذف الفعل والفاعل والمفعول المطلق ، نحو عملا لاكسلا أي اعملوا عملا ولا تتكاسلوا من خلال حذف المكملات نلحظ قيمة تبلغ الغاية في الدقة وسمو الادراك ، وحذف المفعول به كما رأينا سابقا كمثال عن المكملات فهو في بعض حالاته أحسن لتلاؤم الكلام ، واقلال للجهد وانقاص

---

[1] سورة الأنعام ، الآية 35.
[2] سنن النسائي ، 58/1.
[3] سورة الرعد ، الآية 39.

للتعب وهو أخذ بعضه بحجة بعض وهذه غاية سمة الاقتصاد في اللغة الحقيقة ، وإن الاقتصاد يستعان به لأنه يظهر المعنى اكثر مما يريده صاحبه ، اذن في هذه الحالة فحذف هذه المكملات أو بعض عناصر الجملة فلا تقول أننا لسنا بحاجة إليها ولكن نقول أن التخاص منها اقتصاد للجهد والوقت والمكان إن صح التعبير ، ابراز للمعنى اكثر من وجودها ، إذن فالتخاص منها ليس بشيمة ذميمة لهذه اللغة ولكنه سمة هائلة لها فهذا الحذف يبين السمت الأساسية التي يدخل ضمنها وهو الاقتصاد في هذه اللغة .

وكما قلنا آنفا فالجملة هي المسرح الواسع ، والفسيح لهذه الظاهرة بهذا فإن هذه الأخيرة يمكن أن نجدها تصيب الجملة في حد ذاتها ، ويمكن نلحظ ذاك من خلال .

1-5- ΘᴾƐ اللامل : من الجدير بالذكر أن علم المعاني هو العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ ومدă مطابقته لمقتضى الحال ، فهو العلم الذي يبحث في الأساليب والجمل علما أن ركنيها الأساسيين هما المسند والمسند إليه وكذلك وجود بعض المكملات بها ، وهنا سنوضح الأغراض البلاغية لحذف الجملة وتتمثل في :

- تحذف الجملة للاختصار نحو قوله تعالى :" وإذا قيـل لهمـا تقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون " [1] أي اعرضوا ثم حذف الفعل والفاعل ودل عليهما قوله تعالى بعد ذلك :" وما تأتيهم من دابة من . آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين " [2].

- تحذف الجملة للدلالة على التوسع وهو مظهر بلاغي بمعنى أن يذهب المتلقي لها كل مذهب نحو قوله تعالى :" ولو ترă إذ وقفوا على ربهم " [3] فلم يذكر الجواب لأنه لايمكن للعقل البشري أن يتصور الموقف.

---

1) سورة يس ، الآية 45.
2) سورة يس ، الآية 46.
3) سورة الأنعام ، الآية 30.

- أن يكون الفعل لأحد الشيئين الذي وقف عليهما ، فيقدر فعل آخر ليقع على الشيء الآخر نحو قوله تعالى :" فاجمعوا أمركم وشركاءكم " [1] أي أدعوا شركاءكم فحذف الفعل والفاعل فجاء بالفعل (جمع) واقع لجمع الأمر لأن الفعل (أدعوا) يختص بالشركاء وهذا يعد نوعا من الاقتصاد والاختصار .

- الاكتفاء بالسبب عن المسبب فمتى ما ذكر السبب فإن له مسبب نحو قوله تعالى :" وماكنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أنتم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون " [2] ، حيث ذكر الرحمة وهي سبب إرساله إلى الناس ، ولم يذكر المسبب والتقدير وأرسلناك لتنذر.

- التفسير ويراد به الحذف من أول الكلام على أن يأتي ماحذف في آخره فيدل عليه نحو قوله تعالى : "أفمن شرح ا صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقسية قلوبهم من ذكر ا أولئك في ضلال مبين " [3] ، والتقدير أفمن شرح ا صدره للاسلام كمن أقسى قلبه þ قد دل عليه قوله تعالى فويل للقسية قولبهم :

و نسوق الحديث الآن لحذف بعض أنواع الجمل:

-حذف جملة جواب القسم :إذا وقعت مع الصيغ التالية : لأفعلن ، لقد فعل ، لئن فعل .

-حذف جملة الشرط و جوابه ، بحيث تحذف جملة الشرط و تبقى الأداة نحو قولهم:

الناس موزونون بأعمالهم إن خير فخير إن شرا فشر ، و التقدير إن فعل المرء خيرا جزي خيرا و إن فعل شرا. و قد تحذف جملة الشرط مع الأداة نحو قوله تعالى:" فلم تقتلوهم ولكن ا قتلهم" [4].

أما جواب الشرط فيحذف إما لمجرد الاختصار للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أولتذهب به نفس السامع كل مذهب [5].

---

1) سورة يونس ، الآية 71

2) سورة القصص ، الآية 46.

3) سورة الزمر ، الآية 22.

4) سورة الأنفال ، الآية 17 .

5) انظر الإيضاح ، الخطيب القزويني ص 188 .

- حذف جواب لو : يقول ابن الأثير في حذف لو و جوابها أنه من ألطف ضروب الإيجاز و أفضلها [1]، أما لو فقد تكون مصدرية أو شرطية أو حرف امتناع لامتناع ، و هذا هو المشهور و مثاله قوله تعالى:" و لو أن قرآن سيرت به الجبال " [2] و التقدير لكان هذا القرآن ، حذف جواب (لو) في هذه الآية لعلم المخاطب به .
- حذف جملة الفعل و الفاعل ، و لكن رغم حذفهما تبقى الجملة قائمة .
- يحذف الفعل مع فاعله وجوبا في باب الاشتغال حيث يتقدم الاسم و يتأخر الفعل الذي يكون له عمل في ضمير ذاك الاسم نحو: حيثما لقيت صالحا فشجعه ، و التقدير : حيثما لقيت صالحا فإن لقيته فشجعه .
- يحذف الفعل و الفاعل في باب الاختصاص و التحذير و الإغراء و مثاله المروءة و الشهامة أي إلزام المروءة و الشهامة .

و نلحظ من هذا أن نظرا لأهمية هذا الحذف فإن لأكبر عناصر هذه اللغة و هي الجملة فهي تتعرض له، إذن فهذه الظاهرة ذات أهمية كبيرة لما تظيفه في هذا الاقتصاد و هذه هي قمته البليغة ، إذن فالتقليل من الجهد يمكن أن يصوره حذف الجمل و أكثر من هذه البلاغة لا توجد .

6-1 حذف الحروف: يعرف الحرف بأنه مالا يدل على معنى في نفسه و إنما يظهر معناه مع غيره فالحرف هو العنصر الأساسي في بناء الكلمات و الجملة إذن فحذفه يؤثر على معنى ، و لحذف الحروف يتطلب وجود دليل يأمن اللبس فإذا حذفت الحروف و أدى حذفها إلى اختلال المعنى ، فإنه يمنع حذفها .

لكن في هذا المجال سنعرض لحذف حروف الجر ، و حرف النداء ، لأنها حروف شائعة الحذف حروف الجر: و تحذف في حالتين :

- أن يحذف حرف الجرو يوصل الاسم المجرور بالفعل ، فينصب الأول نحو قوله تعالى:"و اختار موسى قومه سبعين رجلا"[3] أي اختار موسى قومه ، فحذف حرف الجر(من) .

---

1) المثل السائر ،ابن الأثير 2 / 320 .
2) سورة الرعد ، الآية 31 .
3) سورة الأعراف ، الآية 155 .

- أن يحذف حرف الجر و لا يتغير الاسم المجرور بل يبقى على حالة نحو قول الفرزدق: إذا قيل :

إي النـ ـاس شـ ـر قبيلـ ـة *** أشارت كليب بالأكف و الأصابع [1]

و الشاهد فيه قوله : أشارت كليب : أي أشارت إلى كليب حيث حذف الحرف (إلى) . و تحذف الحروف لغرض التحقيق و التقليل من الجهد العضلي ، و تجنبا لتكرار و للضرورة الشعرية .

- حذف ياء النداء إذا كان المنادى غير مستفادا و لا مندوبا و لا مضمرا ، نحو قوله تعالى:" يوسف أعرض عن هذا"[2] أي يا يوسف أعرض عن هذا.

و يحذف حرف النداء كذلك مع الأعلام ،لأن هذه الأخيرة خصت بحذف النداء منها [3]لأن نداءها أثقل ، و عندما يحذف يكون الكلام خفيفا .

و كما تعرضت للجملة لهذه الظاهرة فإنه ينطبق حتما على أصغر مكوناتها و هي الحروف إذن ما أصاب الأب سيصيب الأبناء حتما ، و كما أن حذف الجملة يزيد تقليلا للجهد فإن حذف أصغر المكونات وهي الحروف ، إذن فحذفها قمة أيضا في البلاغة بما أنه ليس إخلالا بالمعنى و لا تغييرا له .

قال تعالى :" فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية و أما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليكم سبع ليال و ثمنية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ".[4] يبين ا سبحانه وتعالى في هذه الآيات عاقبة الأمم السابقة التي طغت و كفرت، فذكر قوم ثمود و هم أمة من العرب جدهم اسمه ثمود، هؤلاء أهلكوا بالصيحة المدمرة التي تجاوزت كل حد، ثم قوم عاد الذين أهلكوا بريح عاصفة شديدة سلطها عليهم سبع ليال و ثمانية أيام متتابعة دون انقطاع، فألقتهم على الأرض وكأنهم أصول النخل اليابسة التي تآكلت أجوافها [5].

---

[1]) ديوان الفرزدق . 1 / 420 .
[2]) سورة يوسف الآية 29 .
[3]) المقتصد في الشرح الإيضاح – عبد القاهر الجرجاني ، 2 / 760 .
[4]) سورة الحاقة الآية :5 – 7 .
[5]) انظر صفوة التفاسير ، الصابوني 3 / 434 ، 435 .

إذا عدنا إلى الآية و تأملنا الفعل (أهلكوا) نجده أنه قد ذكر مرتين في الآية و طبعا الغرض من ذلك فهو التأكيد – على ما جاء في الآية و ما حل بالقوم – و نلاحظ أن الفعل مبني للمجهول و نائب فاعله هو واو الجماعة الذي اتصل بالفعل ، و بما أن الآية في هذه الحالة لم يأتي بها للحديث عن القائم بالهلاك ، و لكن بمن وقع عليهم الهلاك ، فإنه تم الاستغناء عنه و تم الاكتفاء بذكر الفعل لوحده و ذلك للبيان و التوضيح ، أي أنه في

هذه الآية تم التخاص من الفائض و الذي إذا ذكر لن يغير شيء و أنه معروف دون ذكره. و أننا اقتصد في كلام هذه الآية ، و كما أنها تبين لنا أن " أمر الدين و العقيدة جد خالص حازم ، جد كله لا هزل فيه" [1] ولذلك تخاص من الذي نعتبر نحن في لغتنا النحوية فائضا لغويا ، و استغنيا عنه باقتصادنا طبعا و ذلك تحصيلا للاختصار في الكلام ، و لكني يبين ا و عيده ، و يبين للأقوام الآية ما حدث للطاغين من سابقيهم وبما أنه أوجز فقد أفاد و أدă الغرض الذي يريده من وراء هذه الآية ، إذن فالاقتصاد هنا يتمثل في حذف الفاعل و الذي نعرفه من هو طبعا .

و نعود إلى اقتصادنا و ذلك في ذكر الفعل الثاني من غير فاعله مع أنه مبني للمعلوم و هو الفعل "سحر" وهذا طبعا إزدراء لهؤلاء القوم على الرغم من شدتهم و قوتهم وأنهم كانوا من أكثر أهل الأرض طغيانا وبأسا .

و إذا عدنا إلى أصل الكلام نجده كما يلي:

فأما ثمود فأهلكهم ا بالطاغية و أما عاد فأهلكهم ا بريح صرصر عاتية سخرها ا عليهم...

و طبعا نلاحظ من الفائض الكثير ، و نحن نعلم أن آيات الوعد و الوعيد قصيرة و ذلك لكي يتعض منها البشر بسرعة و طول الآية طبعا سيؤدي إلى عدم الفهم الجيد و لكن عندما تخاص ا ، صاحب هذه الآيات من الفائض و الذي هو عندنا نحويا الفاعل ،أي أننا نلاحظ تكرارا في هذه الآية وذلك هو ذكر الفاعل و عندما تخلصنا منه أي تخلصنا من هذا الفائض ، تحصلنا على قالب لغوي مقتصد فيه إلى أكبر درجة فجاءت سهلة للفهم ، سريعة الدخول في الذهن و الحفظ .

---

[1]) في ظلال القرآن ، سيد قطب – 6 / 3674 .

و عندما نتأمل الآية نلاحظ أن الله بإيجازه هذا قد عرض لنا و كأنها قصة ، أولا التحدث عن قوم ثمود الذين أهلكهم عن طغيانهم و تسلطهم ، و أهلكهم بما قاموا به ثم يعود إلى قوم عاد الذين أهلكهم بريح عاتية جعلتهم كأغصان النخل التي تترك على الأرض لتجفيفها و استعمالها في البناء ، و بعد ذلك تركوا صرعى إلى الأبد لعدم وجود أهمية لهم و هو في الربط بين حالة النخل المستعملة للبناء و هيئة القوم بعد هلاكهم ، ثم جاء لتجديد الفترة التي تعرضوا فيها للهلاك ، حيث أشارت إلى انتهائهم جميعا ، و هذا دليل على أنها بفعل فاعل قدر لها و طلب منها أن تكون فكانت .

فلنلاحظ هذه القصة كلها كيف أجيزت في عدة ألفاظ سهلت الفهم و الحفظ و الإتعاض ، إذن نقول أن الاقتصاد في اللغة خادم لأغراض نزول القرآن الكريم .

و نأخذ مثالا آخر و هو هذه الآية : قال تعالى :" ءأنتم أشد خلقا أم السماء رفع سمكها فسوها و أغطش ليلها وأخرج ضحها و الأرض بعد ذلك دحها أخرج منها ماءها ومرعها والجبال أرسلها متاعا لكم ولأنعمكم". (1)

الخطاب موجه لأهل مكة المنكرين للبعث ، موضعا لهم فيه أن يتأملوا إذا كان خلقهم أشد عليه تعالى أم خلق ما هو أكبر منهم (السماء) ، فالسماء من مميزاتها الإرتفـاع عن الأرض، و ذهابها إلى سمت العلو مديدا و متساوية ليس في سطحها ارتفاعا أو انخفاضا ،ثم جعل الليل فيها مظلما، و أبرزنها رهابا نبساط شمسيه أما الأرض فقد مدها و بسطها و فجر منها عيونا و أنهارا ، و أخرج منها ما يأكله الإنسان و حيواناته ، و ثبت فيها الجبال ، وكل هذه النعم هي تمتيعا للإنسان و لأنعامه (2).

و لو عدنا للآية و تتبعناها نجد أن الأفعال (بناها ، رفع ، سواها ، أغطش ، أخرج ،دحى ، أخرج أرسى) أنا وردت مفتقرة للفاعل ، رغما أن فاعلها معلوم و هو الله سبحانه و تعالى ،و لأن الآيات تضمنت الدعوة إلى التأمل و التفكير في ظواهر الكون لمعرفة خالقها ، و بالتالي الإهداء إليه ، و نعود ونقول أن حذف الفاعل في هذه الآية له غايته من الإيجاز ، و تبليغ الرسالة بسرعـة ، و التخلص من

---

(1) سورة النازعات ، الآية 27 – 33 .
(2) انظر روح المعاني ، الألوسي 30 / 34 ، 35 .

الفاعل في هذه و تحقيق مبدأ الاقتصاد فإنه يظفي على الآية رؤية خاصة ، فإنك لما تقرأ الآية وأنت تعلم أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى ، و لكنه غير مذكور، و ذكرت هذه الأفعال متتالية قمة للبيان وتسهيل للحفظ، و قوة للزجر ، و التهويل

مما قد استهونه البعض ذات يوم ، و كأن الله يقول لعباده انظروا إلى خلقي من قام بكل هذا ، إذن فالتخلص من الفائض و الذي نريد به الفاعل في شأننا اللغوي و لا نقصد منه فاعل الآية بالذات . فالاقتصاد هنا حقق مراد الآية بحذف فاعلها في كامل أفعالها .

ثانيا : الإضمار :

يعتبر الإضمار سمة من سمات العربية ، و يعتبرا أيضا من سننها ، و يكون على ثلاثة أضرب : إضمار الأسماء . إضمار الأفعال ، إضمار الحروف : فمن إضمار الأسماء قولهم : ألا يا سلمى ، و يريدون من ذلك : ألا يا هذه اسلمي ، و في كتاب الله عز وجل:" ألا يا اسجدوا" [1] بمعنى ألا يا هؤلاء اسجدوا ، فلما لم يذكر هؤلاء بل أضمرهم اتصلت يا بقوله ، اسجدوا فصار كأنه فعل مستقل . ومثله قول ذي الرمة :

ألا يسلمى يا دار مية على البلى *** و لا زال منهلا بجر عائك القطر [2].

و ذكر عن الفراء سمع بعض العرب يقول :" ألا يرحمنا " بمعنى : ألا يا ربنا ارحمنا و يقولون " يا هل أتاك على ما كان من حدث " ، و يقولون : يقولون لي يحاف و لست بحالف : بمعنى : يا هذا احلف.[3]

و يضمرون في الأسماء :" من فيقولون : " ما في حينا إلا له إبل " و كذبتم بني شاب قرناها " [4] أي من شاب ، و في كتاب الله جل ثناؤه (و ما منا إلا له مقام) ، أي من له .

و يضمرون هذا كقول حميد :

أنت الهلالي الذي كنت مره *** سمعنا به و الأرجي المعف .([5])

أي و هذا الأرجي ، يعني بعيره .

أولا : إضمار الحروف : و يضمرون الحروف كما كان الحال بالنسبة للأسماء فيقول قائلهم :

ألا أيهذا الزاجري أشهد الوغى .([6])

---

1) سورة النمل ، الآية 25 – 27 .
2) البيت في مواضع عدة : في كامل المبرد (1 / 85 - باب 13) و في الخصائص لابن جني (2 / 278) و في اللسان (20 / 386) و قائلة غيلان ذو الرمة .
3) صدر بيت في ديوان الشماخ ص 20 و عجزه : أخادعهم عنها لكيما أنالها .
4) جزء من عجز بيت من شواهد سيبويه (1 / 209 ، 2 / 7) و البيت بتمامه في اللسان قرن (17 – 211)، و نص الكامل :-
كذبتم و بيت الله لا تنكحونها :- بني شاب قرناها تصر و تحلب .
5) هو بيت لحميد بن ثور الهلالي .
6) البيت من معلقة طرفة بن العبد البكري في ديوانه ص 32 و عجزه ، و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدي .

بمعنى : أن أشهد ، و يقولون :" وا لكان كذا" بمعنى لقد ، و يقول النابغة :

لكلفتنـي ذنب امرăء و تركتـه *** كذي العر يكـوي غيره وهو راتع .[1]

و في كتاب ا جل ثناؤه (الم– غلبت الروم " [2] ، قالوا معناها : لقد غلبت الروم إلا أنه لما أضمر قد أضمر قد اللام، وفي كتاب ا عز وجل : " سنعيدها سيرتها الأولى " [3] قالوا: إلى سيرتها ، و نجد كذلك قوله تعالى :" واختار موسى قومه " [4] أي من قومه و يقولون : اشتقتك، أي اشتقت إليك، ونجد أيضا قوله تعالى : "و هل يسمعونكم" [5] بمعنى يسمعون لكم " كذلك قوله تعالى :"و أوجاؤوكم حصرت النساء" [6] أي قد حصرت. و يقول قائلهم : " لقد حلفت با لناموا" [7] أي لقد ناموا، و في القرآن الكريم نجد: " فإن احصر تم فما استيسر من الهدي" [8] أي فعليكم، وقيل في قوله تعالى : "و ترغبون أن تنكحوهن" [9] معناه: عن، وهناك من يقول في أن تنكحوهن . و نجد آية أخرă :" و من آياته يريكم البرق " ، أي أن يريكم .

1- إضمار الفعل :

يعتبر الفعل من أهم أجزاء الجملة كما سنلاحظ ذلك في الحذف و كما سنتطرق إلى الحالات التي يحذف فيها الفعل ، لا يقتصر دوره على الدلالة على الحدث فقط بل يمكنه أن يحدثنا عن فاعل الفعل أي عن فعل الشخص ، و عما يفعله و عما سيفعله :كتب خالد ، يكتب خالد ، سيكتب خالد ، بالإضافة إلى ذلك فإنه يساعد على الأسماء ،كما أنه يعبر عن السؤال وعن الأمر وغير ذلك، و طبعا حيزه هي الجملة الفعلية و التي يكون الفعل مسندا و تعد أساس التعبير في العربية على حد قول مهدă المخزومي .

و نجد الخليل يقول بأنه يمكن لهذا الفعل أن تدل عليه ملابسات ، و كذلك قرائن تجيء بها بدلا من الفعل ، فهو يذكر أحيانا ، و يمكنه أن يحذف حينا و يضمر آخر .

---

[1]) البيت من ديوان النابغة .
[2]) سورة الروم 30 (1 – 2) .
[3]) سورة طه اللآية 20 – 21 .
[4]) سورة الأعراف اللآية 7 / 155 .
[5]) سورة الشعراء الآية 26 – 72 .
[6]) سورة النساء الآية 4 / 90 .
[7]) ورد هذا التعبير لا مرىء القيس بن حجر في قصيدة في ديوانه ص 141 و البيت بنصه هو : حلفت لها بالله حلفة فاجر: لناموا فما أن من حديث و لا و صال
[8]) سورة النساء الآية 4 / 127 .
[9]) سورة الروم الآية 30 / 24 .

وإضمار الفعل ظاهرة ملحوظة و موجودة في العربية كثيرا ، و لا يسمى المتحدث أو المتلقي إلى ذكره لأنه من الوضوح في درجة لو ذكر معها لكان الكلام حشوا . ونجد إضمار الفعل مثلا فيما يلي :

1- المشتقات الجارية مجرة الأفعال : و هي التي تكون منصوبة على التنبيه نحو قولهم : أقائما وقد قعد الناس أقاعدا و قد سار الركب و قد فسر هذا سيبويه بقوله :"وذلك أنه رأة رجلا في حال قيام ، أو حال قعود ، فأراد أن ينبهه ، فكأنه لفظ يقوله :" أتقوم قائما ، و أتقعد قاعدا" [1] .

2- الأمثال المنصوبة على التحذير : نحو قولهم : إياك إياك تجادل في غير الحق و قولهم إياك و الكذب وقوله تعالى :" ناقة ا و سقياها"[2] . ونرة هنا أنه تم إضمار الفعل في حالة تحذير إذ أن كلا التعبيرين موجهين شخص لتحذيره و لكن بأقصر لفظ ممكن، وبأوجز عبارة ، فهنا لسنا ملزمين بذكر الفعل بعينه فنكتفينا بإضماره و ذلك بوجود قرائن الخطاب والملابسات المحيطة بالقول ، ولأنه أسلوب تحذير فإنه يهتم بالأسلوب و القرائن أكثر منه إهتماما بذكر الفعل .

و مثالنا ما نعرفه في الحياة اليومية ، عند رؤيتنا لشخص تقترب منه سيارة لتصدمه ، مباشرة أي شخص أمامه يود تحذير فيقول له : سيارة ، سيارة ، فالفعل "أحذر" المقدر طبعا متروك إظهاره و لو ذكر لقيل : أحذر السيارة ، لخرج الكلام من أسلوب التحذير إلى أسلوب من الطلب يختلف عنه

3- الصفات المنصوبة على الشتم : نحو قوله تعالى :" و امرأته حمالة الحطب ".أو على (الترحم) كالذي ذهب إليه الخليل في تفسير نصب (المسكين) في قولهم : مررت به المسكين .

4- المصادر المنصوبة على الأمر: كقوله تعالى :" فإذا رأيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ففيها فعل أمرتم إضماره ، وأصبح متحدثا عنه فقط ، والمصدر الذي جيء هو المادة الأولى للفعل ، فضرب الرقاب أصلها : أضرب ضربا . و نجد كذلك البيت الشعري للقطري النجاءة :

فصبـرا في مجال المـوت صبـرا *** فمـا نيـل الخلـود بمستطـاع .

---

[1] الكتاب سيبويه ج 10 ص 171 .
[2] سورة الشمس الآية 13 .

و أصلها فاصبر صبرا ، و لكن تم إضماره لأنه جاء في البيت صيغة و قرائن قامت بإخفاء هذا الإضمار الذي تم للفعل و أصبح الفعل في هذه الحالة و كأنه ليس أصلا في الجملة .

ففي مثال الآية يقول ابن الأصل : فاضربوا الرقاب ضربا ، فتم حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وفي ذلك اختصار مع إعطاء معنى التوكيد المصدري ".[1]

وهناك مواضع أخرى يتم فيها إضمار الفعل اقتصادا للجهد، و تقليل من الإطناب و ذلك نحو قوله تعالى: " بلى قادرين " [2] أي: بلى نجمعها قادرين . والفعل تم إضماره اقتصادا ، لأنه قد تم ذكره فيما سبق هذا الكلام فقد سبق قوله تعالى :" أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه "[3] ، و لم يكرر ذكر الفعل (نجمع) طبعا اقتصادا لغويا،و عظليا ، و قد اكتفي بذكره في الكلام السابق .

و يكثر إضمار الفعل في جواب الاستفهام . كهذه الآية : قوله تعالى :" و إذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا : خيرا "أي أنزل خيرا ، و قد تم إضمار أنزل في الجواب اكتفاء بوجوده في السؤال .

و جاء مثله في الحوار الذي وقع بين النبي صلى الله عليه و سلم – و جابر : فقد ورد في الأخبار النبوية أن جابر تزوج ، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما تزوجت : فقال : ثيبا ، فقال له :فهلا جارية تلاعبها و تلاعبك " [4] فهنا نلاحظ أن إجابته لم يرد فيها الفعل فقط : ففي الأصل كان سيجيب الرسول بقوله: تزوجت ثيبا ، و في الحالة الثانية كان الرسول ان يقول له : فهلا تزوجت جارية فهنا لم يذكر الفعل في الحالتين المتعلقتين بالجواب لأنه تم ذكره في السؤال في الحالتين، و إنما تم إضماره اختصارا واقتصادا في الحديث، و ذلك اكتفاء منهما بذكره في السؤال، و بهذا نعود إلى المقولة "خير الكلام ما قل ودل " فذكر الفعل في السؤال يمكننا من فهم جملة الجواب دون التطرق إلى ذكره مرة ثانية ،و هنا نلاحظ أن ذكره سيعتبر حشوا للكلام، و إطنابا في التعبير ، فهنا نلحظ جيدا أن سمة إضمار الفعل تجسد الاقتصاد اللغوي جيدا فهو قمته كغيره من السمات ، فالاقتصاد في الفعل وذكر هو خدمة للغة العربية وتقليل للاطناب والتكرار، فنلاحظ هنا من خلال حديث الرسول الكريم ، و قبله الآيـ ـات

---

1) الصاحبي في ابن فارس ، ص 234

2) سورة القيامة ، الآية 05.

3) سورة القيامة ، الآية 04.

4) المثل السائر لابن الأثير ج3 ص 93 .

القرآنية أنها تجسد الاقتصاد اللغوي دونما تكلف ،و دون قصد و كأن هذا الاقتصاد يأتي بصورة مسترسلة ، لا يمكن ملاحظتها إلا بالتثبيت و التدقيق .

و من أمثلة إضمار الفعل قوله تعالى:" أما الذين اسودت وجوههم : اكفرتم "[1] معناه فيقال لهم ، لأن أما لا بدلها من فاء في الخبر ، فلما أضمر الفعل أضمرت معه الفاء و نجد مثل هذا قول الشنفري:

فـلا تدفنونـي إن دفنـي محـرم *** عليكـم خامـري أم عامـر. [2]

أي أتركوني بين يدي التي تسمى خامري ، و نجد العرب تقول : أثعلبا و تفرþ أي أثرă ثعلبا .و في القرآن الكريم :" وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم" [3] ، أي :يقولون هذا يومكم . و أسر رجل أسير ليلا فلما أصبح رآه أسود فقال : اعبدا لسائر الليلة þ كأنه قال : ألا أراني أسرت عبدا .

و نجد أيضا قوله تعالى :" قل لمن ما في السماوات و الأرض[4] قل :ا فهنا إضمار فكأنه لما سألهم عادوا بالسؤال عليه فقيل له : قل ا . كذلك قوله تعالى :" فقلنا اضربوا ببعضها كذلك " [5] معناه: فضربـوه فحي . و قوله تعالى:" كذلك يحي ا الموتى "[6] و مثله في كتاب ا كثير .
و مما نجده من إضمار في كلام العرب قول الخنساء :

يا صخـر وراد مـاء قد تناذره *** أهـل المـوارد ما في وروده عار .[7]

و هذا معناه : ما على من ورده عار ، و ليس في ورد الماء عار ،و لكن معناه ما في ترك ورده مخافة عار ، و إنما عنت أنه ورد ماء مخوفا يتحامله الناس فينذر بعضهم بعضا ، فهو يرد هذا الماء لجرأته ، و مثله قول النابغة :

فتنـي لا ألام علـى دخــول *** و لكـن مـا وراءك يا عصـام [8].

---

1) سورة آل عمران ، الآية
2) البيت للشنفرة ، ديوانه ، ص 141 .
3) سورة الأنباء ، الآية 21 .
4) سورة الأنغام ، الآية 06 .
5) سورة البقرة ، الآية 02 .
6) سورة البقرة ، الآية 02 .
7) ديوان الخنساء ، ص 75 .
8) البيت من ديوانه النابغة ، ص 115 ، من مقطوعة يتحسر فيها على موت النعمان و مطلعها :
ألم أقسم عليك لتخبرني *** أمحمول على النعش الهمام .

يقول: لا ألام على ترك الدخول لأن النعمان قد كان تدر دمه متى رآه فخاطب بهذا الكلام حاجيته قال الأعشى :

أ أزمعت من آل ليلـى ابتكـارا *** و شطت على ذي هو ă أن تزارا [1].

ظاهره أزمعت أن تبتكر منهم þ و إنما المعنى : أأزمعت من أجل آل ليلى و شوقك إليهم أن تبتكر من أهلك ، لأنه عزم الرحلة إليها لا عنها :ألا تراه يقول :

و بانـت بهـا عزبـات النـوă *** و بدلـت شوقـا بهـا و ادكـارا .

و في كتاب ا تعالى :" لا يستأذنك الذين يؤمنون با و اليوم الآخر أن يجاهدوا "[2].

و التأويل : لا يستأذنك الذين يؤمنون با و اليوم الآخر أن يقعدوا عن الجهاد .

2- الاختصار

يعد الاختصار صورة من صور الاقتصاد اللغوي ، وكذلك التنوين ، والإضمار و الادغام فكلها صور الاقتصاد اللغوي و التي تجسده حقيقة . و لهذا خصصت لها هذا الفصل لكي أوضحها من الناحية النحوية وكيف يساعد النحوفي هذه الظاهرة التي تختص بها العربية وربما باقي اللغات، لكن ليس بالصورة التي توضحها العربية بالذات .

أما الاختصار فإنني لن أتوسع فيه كبقية العناصر بل آخذه على وجه السرعة لمشابهته للحذف والإضمار كما قلنا الاختصار لغة : الإيجاز ، و هو اختصار الكلام أي أنك تدع الفضول و توجز الذي يأتي على المعنى وهو حذف الفضول من كل شيء .[3]

---

[1]) البيت من ديوان الأعشى ص 80 .
[2]) سورة التوبة الآية 09
[3]) لسان العرب – ابن منصور ،مادة (خصر) .

إذن فالاختصار هو حذف بعض أجزاء الكلام لتمام المعنى من دونـه، و بهذا المعنـى فإن الاختصـار – كما لاحظنا – هوإيجاز الكلام من غير حذف، و يعرف الاختصار على أنه حذف مفعولي ظن وأخواتها لدليل و هو حذف جائز الأجماع ، نحو قوله تعالى: " أين شركائي الذين كنتم تزعمون" [1] أي تزعمونهم شركائي .

و الاختصار قد يكون باستعمال الحروف ، إذ يقوم الحرف مقام الفعل و الفاعل مثلا و نكتفي بالفعل الأول دون بقية العناصر الأخرى، وعلى هذا الأساس نجد حروف النفي تنوب عن الفعل (أنفي) وحروف الاستثناء تنوب عن الفعل (استثني) و حروف النداء تنوب عن الفعل (أنادي) و هذه الحروف لا يمكن حذفها لأنها لو حذفت لكنا أمام اختصار المختصر و هو إجحاف[2].

و يمكننا القول أن الاختصار يتعلق بالمعاني ، بحيث تذكر ألفاظ قليلة تؤدي معاني كثيرة و الزمخشري يشير إلى أن هناك مواطن تقتضي الإيجاز و الاكتفاء بالإشارة و الوحي و أن هناك مواطن تحتاج إلى أن يفصل القول فيها تفصيلا و أن يشبع المتكلم الحديث إشباعا يقول تعالى :" أو كصيب من السماء "[3] ثم ثنى سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفاء لحالهم بعد كشف و إيضاح ، و كما يجب على البليغ في مضان الإجمال والإيجاز ، أن يجعل و يوجز فكذلك الواجب عليه في مواد التفضيل و الإشباع أي أن يقوم بالفصل و أن يشبع وأنشد الجاحظ:

يوحون بالخطب الطـوال و تارة *** وحي الملاحـظ خيفـة الرقبـاء .

ومما ثن من التمثيل في التنزيل قوله تعالى "ومايستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور" [4]
وكذلك نرة ذي الرمة في قوله :

أذاك أم نم ‌ بالوشي...

أذاك أم خاضب بالسي مرتعه ...

---

1) سورة القصص ،الآية 62 .
2) انظر الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جب 2 / 273 .
3) سورة البقرة ، الآية 19.
4) سورة فاطر ، الآية 21.

و يشير الزمخشري في كتابه إلى طريقة القرآن في اختصار القصة و حذف الأجزاء غير الهامة منهـا و أخذ النص الذي يورد أهم المواقف فيها كما جاء في قوله تعالى : " و يضيق صدري و لا ينطلق لساني فأرسل إلى هرون " ، و هذا طبعا كلام مختصر و قد بسطه في غير هذا الموضع و قد أحسن الاختصار ، حيث قال : " فأرسل إلى هارون فجاء بما يتضمن الإستنباء ".

و مثله في تقصير القصة الطويلة و الحسن قوله تعالى :" فقلنا إذ هبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا "، حيث أوجز، و اقتصد في حديثه وأوجز لنا الطريق لفهم القصة فذكر طرفاها الأول و الأخير وهما الإنذار و التدبير ودل بذكر هما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات ا و إلزام الحجة عليهم فبحث إليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم [(1)].

كما لاحظنا فإن هذا الاختصار يمثل الاقتصاد بعينه بحيث نلاحظ ذلك حتى في القرآن الكريم فإنه يكتفي بالإيجاز والاقتصاد ويتخلى عن الإطناب وسرد الحوادث كلها بل إنه سبحانه وتعالى يذكر محورين أساسيين في فهم أي قصة البداية والنهاية ، إذن فالاقتصاد عامل موجود بالقرآن لكن بصور متعددة ، وحقا خير الكلام ما قل و دل .

إذا لم يكن إختزال أو إضمار أو إخفاء أو اقتصاد . الحركات عن حروفها أمرا ظاهرا مقررا فإن الكثير من الكتابات الإملائية الأخرى يلجأ فيها إلى الاقتصاد بطريقة واضحة لا تدع مجالا للشك في المقصود ، و قد عرفت اللهجات العربية القديمة هذا الاقتصاد ، فقالوا" أيش هذا " بمعنى :أي شيء هذا ، و نحن نكتب اليوم الرمز إلخ و ذلك اختزالا للعبارة إلى آخره، كما عرفت هذه الظاهرة معظم لغات العالم و عرفتها كذلك اللهجات العامية .

---

[1]) الكشاف – الزمخشري ص 238 مع القليل من التصرف .
البيت الشعري للجاحظ و قد أخذته من الكشاف للزمخشري . وكذلك قول ذي الرمة .

أولا : التنوين : Annomation

يعتبر التنوين من الخصائص التي تنفرد بها اللغة العربية ، وظاهرة من ظواهرها التي لا تشاركها فيها لغة أخرى.

وقد اهتم به النحاة واللغويون ، فافردوا له بابا من مؤلفاتهم ، وتعرضوا له من جميع النواحي من حيث الأنواع ، الوظائف ، الآثار الصوتية ،ولا ننسى اهتمام علماء القراءات به .

ولأن ظاهرة التنوين لها أثرها في علم النحو والصرف والعروض والقراءات ورأيت أنها خادم بالغ الأهمية لموضوعي فرأيت أن أقدمها هنا وهكذا .

-1 تعريف التنوين :

التنوين مصدر نوّن ،أي الحق نونا بالاسم [1] .

ومنه يكون التنوين لغة : هو الحاق النون بالاسم .

واصطلاحا : فقد ذكر له النحاة عدة تعريفات ، فقد ذكر صاحب الهمع أن التنوين :"نون تثبت لفظا لا خطا، وقال: إن هذا أحسن حدوده، وأخصرها، إذ سائر النونات المزيدة الساكنة أوغيرها تثبت خطا " [2].

وقال الخضرى في حاشيته : إن التنوين :" نون ساكنة زائدة ، تلحق الآخر لفظا لا خطا ووقفا [3] فهو من إطلاق المصدر على المفعول .

والتنوين عند علماء الأصوات : بأنه : " عبارة عن حركة قصيرة بعدها نون " [4]. فالتنوين في رأيهم مجموع الحركة والنون معا ، وأن هذه الحركة والنون خاضعة لنظام المقاطع في الكلام الموصول و أن الذي يقوم بتحديد هذه الحركة : طبيعة الصوت أوانسجام الحركة مع ما يكتنفها من حركات أخرى. ويرى ابن مالك أن التنوين له علاقة كبيرة بالصرف وربما هو الصرف كله وفي هذا يقول :

تنويـــن أتـى مبينــا *** معنـى به يـكون الاسم أمكنا.

وقال ابن معزوز واضع أغلاط الزمخشري : ماعدا التنوين القوافي يسمى صرفا وتمكينا .

1

2) همع الهوامع ، للسيوطي ، ج2 ، ص79.

3) حاشية الخضري على ابن عقيل ، 1د ، 33

4) من أسرار اللغة ، ابراهيم أنيس ، ص 239.

2- **أنواع التنوين عند النحاة** : وذكر النحاة أن التنوين عشرة أنواع :

أ) **تنوين التمكين** : وهو يدل على تمكين الاسم في باب الاسمية وعدم مشابهة الفعل والحرف ، ويلحق الأسماء المتصرفة معرفة كانت أو نكرة نحو : جاء محمد ورأيت رجلا.

ب) **تنوين التنكير** : وهوالذي يلحق الأسماء المبنية المختومة بويه فرقا بين معرفتها ونكرتها نحو: خالويه عمرويه ، سيبويه ، فـإذا أردنا أن نتحدث عن واحد من هؤلاء وكان معينا معهودا بيننا ، وبين من نخاطبه معروفا بهذا الاسم ، فإننا ننطق باسمه من غير تنوين نحو : جاء عمرويه ، أما اتينا بالتنوين في آخر الكلمة وقلنا جاء عمرويه فإن المراد يتغير ، إذ يصير الحديث عن شخص غير معين لا يتميز من غيره من المشاركين له في الاسم فكأننا نتحدث عن رجل مسمى بهذا الاسم .

وذكر النحاة أن تنوين النكرة يكون قياسيا في هذه الأسماء، وسماعيا في أسماء الأفعال والأصوات نحو: صهٍ[أ] ،عاقٍ[ب]، فإذا أمرت مخاطيك بالسكوت مطلقا وعدم التحدث في أي موضوع قلت له صهٍ (بالتنوين) وإذا طلبت منه السكوت في الموضوع الخاص الذي يتكلم فيه قلت له صهْ .
وإذا أدخلنا التنوين يتغير المعنى فغاق بالتنوين يعتبر مجرد صياح عادي لكن بلا تنوين تلمس فيه الحزن.

ج) **تنوين العوض** : وهو اللاحق عوضا عن أصلي، أو زائد، أو مضاف إليه مفردا، أو جملة فالأول[1] : كجواب وغواشٍ فإنه عوض من الياء وفاقا لسيبويه ، والجمهور لا عوضا عن ضمة الياء وفتحتها النائبة عن الكسرة . الثاني[2] : فإن تنوينه عوض من ألف جنادل[3] ومن بين من قالوا بهذا التنوين نجد ابن مالك وابن هشام . الثالث [4] : وهو التنوين اللاحق لإذ في نحو: " وانشقت السماء فهي يومئذ واهية" [5] والأصل فهي يومئذ إذا انشقت واهية ثم حذفت الجملة المضاف إليها للعلم بها ، وجيء بالتنوين عوضا منها وكسرت الذال للساكنين ، وقال الأخفش : التنوين تنوين التمكين والكسرة إعراب المضاف إليه .

---

[1]) وهو اللاحق عوضا منحرف اصلي .
[2]) وهو اللاحق عوضا من حرف زائد .
[3]) معنى اللبيب ، ابن هشام ، ج2 ، ص 23.
[4]) وهو اللاحق عوضا عن مفرد.
[5]) سورة الحافة الآية 12 .
أ) اسم فعل أمر بمعنى أسكت .
ب) اسم صوت الغراب .

وهناك تنوين المقابلة ، و التنوين الغالي ، وتنوين الحكاية ، تنوين ما لا ينصرف ، تنوين المنادى المضموم ، التنوين الشاذ وهناك قسمين منه :

القسم الأول : وهو التنوين المشترك بين الأسماء والأفعال وهو تنوين الترنم ، والتنوين الغالي ولقد رأينا ذلك في بيت جرير .

أقلـي اللـوم عاذل والعتابن *** وقولـي إن أصبـت لقد أصابـن

أما دخوله على الحروف فكقول الشاعر :

أزف الترحل غير أن ركابنا *** لما تـزل برحالنـا وكـأن قـدن [1].

وأما التنوين الغالي : ونوضحه ببيت رؤبة :" وقاتم الأعماق خاوي المخترقن " [2].

وأما دخوله على الأفعال فكقول الشاعر :

أحاربن عمرو كأني خـمرن *** ويعـدو على المـرء وما يأتمرن [3].

ومثال دخوله على الحروف قوله :

قالت بنات العم ياسلمى وإنن *** كـان فقيـرا معدما قالـت : وإنن [4].

القسم الثاني : مـا هو مختص بالأسماء وهو بقية أنواع التنوين الأخرى وقد سبق ذكر أمثلة توضحها . نورد هنا تعليل السيوطي بقوله : عن أنواع التنوين :" التنوين وأقسامه العشرة ، والذي يختص بالاسم منه ماعدا الترنم والغالي اللاحقين لروي البيت ، فإنهما لا يختصان به وإنما يختص الباقي به لأن التمكين منه للفرق بين المنصرف وغيره، والتنكير للفرق بين النكرة وغيرها ، والمقابل إنما يدخل بجمع المؤنث السالم ، والعوض إنما يدخل المضاف عوضا من المضاف إليه ، ولاحظ لغير الاسم في الصرف ، ولا التعريف ، ولا التنكير ولا الجمع ولا الإضافة " [5].

---

1) البيت للنابغه الذبياني في شواهد المغنى ، 31/1.
2) البيت من شواهد خزانة الأدب ، 38/1.
3) البيت لامرئ القس ، ديوانه ، 154/1.
4) قائله رؤبة بن العجاج ، خزانة الأدب ، 630/3.
5) همع الهوامع ، ج1 ، ص 05.

4- <u>وظائفه في المعربات</u> :

1- **و ħ2Ÿư الم ħ#Ĝłś** : ذكر النحاة أن التنوين الذي يلحق بجمع المؤنث السالم يؤتى به ليقابل النون في جمع المذكر السالم .

وذلك لأنهم يرون أن النون التي تأتي في آخر جمع المذكر . تكون نائبة عن التنوين الذي يكون في المفرد في كون كل منهما يوحي بتمام الاسم .

ولما كانت هذه النون التي تؤتي في آخر جمع المذكر دون المؤنث و كلاهما جمع سلامة ، كان من الإنصاف – في رأيهم – أن يزاد التنوين في الثاني ، ليكون مقابلا للنون في جمع المذكر ، و يتم به التعادل بين الاثنين في هذه الناحية ، و من أجل ذلك يسمونه تنوين المقابلة .

2- **و ħ2Ÿư الو f** : في الأساليب العربية دواع ، اقتضت حذف حرف من بعض الكلمات أو حذف كلمة من جملة ، أو حذف جملة أو أكثر ، وعندئذ يحل التنوين محل المحذوف و يكون عوضا عنه .

أما تنوين العوض عند حذف حرف ، فقد ذكر النحاة أنه يكون دائما في الجموع المعتلة ، التي تأتي على وزن : فواعل ، و في حالتي الرفع و الجر . نحو: جوار و سواق .

وقد ذهب النحاة إلى أن التنوين الذي حدث هنا جاء عوضا عن حركة الياء ، وبعدها حذفت الياء لالتقاء الساكنين [1] . وهناك من قال أن هذا التنوين جاء عوضا عن الياء المحذوفة للتخفيف و للالتقاء الساكنين .

ويكون حذفها للتخفيف إذا اعتبروا أن الكلمة ممنوعة من التنوين أصلا لصيغة منتهى الجموع فأصل الكلمة جواز عندهم . جواريٌ بضمة واحدة ، ثم حذفت الضمة ، لأنها ثقيلة على الياء فتصير الكلمة جواري ثم حذفت الياء للتخفيف ، وجيء بالتنوين عوضا عنها لأنها حرف أصلي لا يحذف من غير تعويض .

[1] شرح الأشموني : الأشموني ، 245/3.

ويكون حذفها للالتقاء الساكنين عند من يعتبرها، أنها لم تكن ممنوعة من الصرف أول الأمر " وإنما وقع الحذف و التعويض فيها قبيل منعها من الصرف فيقال فيها : جواري (بالتنوين) ثم حذفت الضمة وحدها ، لأنها ثقيلة على الياء (وبقي التنوين الذي تدل الضمة الثانية عليه) فالتقى ساكنان لا يجوز اجتماعهما الياء والتنوين . فحذفت الياء أولا ، ثم حذف التنوين بعدها لسبب أن الكلمة ممنوعة من الصرف لصيغة منتهى الجموع فصارت جوار بكسرة واحدة أي (بغير تنوين) ثم جاء تنوين آخر غير المحذوف ليكون عوضا عن الياء، و ليمنع رجوعها عند النطق .[1] وكلتا الحالتين السابقتين تجرă على جواري و أشباهها من الجموع في حالة الجر.

ومن كل هذا يمكننا القول في إيجاز : أنه استعمال العرب ليس غيرهم ، فهم يحذفون تلك الياء المنونة رفعا و جرا ، إذا وقعت آخر صيغة منتهى الجموع ، من غير أن يفكروا في قليل أو كثير ، مما ذكره النحاة بل من غير أن يعرفوا عنه شيئا . "ومما يؤكد هذا الرأي أن العرب يقولون : أكرمت جواري بظهور الفتحة على الياء ، فلم توصف الفتحة ، في مثل هذه الحالة بالخفة ، وتفوز بالبقاء .

وفي حالة الجر يقولون : أنها قدرت الفتحة في حالة الجر مع خفتها لأنها نائب عن الكسرة فاستثقلت لنيابتها عن المستقبل [2].

ا – **الإو f DžY المd2p** : أما التنوين الذي يكون عوضا عن كلمة محذوفة فإنه يوجد عند حذف المضاف إليه بعد لفظتي كل أو بعض مثال ذلك: صححت أوراق الطلاب ، فأعطيت كلا نصيبه أي كل طالب ، وظهرت نتيجة امتحان الطلبة ، فبعض ناجح ، وبعض راسب ، أي بعض الطلبة ناجح و بعض الطلبة راسب .فحذف المضاف إليه من الأمثلة السابقة ، وعوض عنها بالتنوين .

كما يمكننا أن نقول أن التنوين في كل أو بعض للتعويض عن المضاف إليه ، فنقول بأن التنوين في " قلم" للتعويض عن قولنا : قلم علي . بدون تنوين فإذا لم توجد الإضافة ، وجد التنوين كما في كل و بعض .

[1]) النحو الوافي ، عباس حسن 1/ ص 25

[2]) شرح الأشموني : الأشمونى 3: 245 .

وهناك من النحاة من اعتبره أنه ليس تنوين عوض فقد قال الزمخشري :"إنما هو التنوين الذي كان يستحق الاسم قبل الإضافة ، و الإضافة كانت مانعة من إدخال التنوين عليه فلما زال المانع رجع إلى ما كان عليه من دخول التنوين عليه[1].

ب- **الو f DžY للمǂĥ** : وأما التنوين الذي يجيء عوضا عن حذف جملة أو كثر ، فإن ذلك يكثر بعد كلمة "إذ" وذلك لأنها تلتزم الإضافة إلى الجمل [2] سواءا كانت اسمية نحو قوله تعالى :"و اذكروا ،إذا أنتم قليل "[3]، أم فعلية نحو :" و اذكروا نعمة ا عليكم إذ كنتم أعداء"[4].

غير أنه قد تحذف الجملة أو جزء منها فقط فيظن من لا خبرة له بأنها أضيفت إلى المفرد كقوله :"و العيţ منقلب إذ ذاك أفنانا " و التقدير:" إذ ذاك كذلك " [5]، المضافة إلى إذ اختصارا للعلم بها و حينئذ يؤتي بالتنوين ليكون عوضا عن الجملة المحذوفة ، و يكون ذلك في الغالب حين تقع إذ مضافة إليه ، والمضاف اسم زمان : كيوم أو حين أو ساعة، و ذلك نحو قوله تعالى :" إذا زلزلت الأرض زلزالها ، واخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث إخبارها" [6] فالأصل : "يومئذ تزلزل الأرض زلزالها ، و تخرج الأرض أثقالها

و يقول الإنسان مالها " فحذفت هذه الجمل الثلاث ، و ناب عنها التنوين فاجتمع ساكنان و هما الذال والتنوين فكسرت الذال ، لالتقاء الساكنان .

يتبين أن التنوين لا يكون عوضا عن جملة أو أكثر إلا بعد إذ فقط . وبعضهم الحق "إذا الشرطية إذ يجيء التنوين العوض منها بعد حذف جملتها المضافة إليها و ذلك نحو قوله تعالى :"ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرين " أي إذا أطعتم إنكم لخاسرين ، لا يكون عوضا عن جملة أو أكثر إلا بعد إذ فقط وهذا ماتفق عليه أكثر النحاة .

---

[1]) نقلا عن الأشياء و النظائر السيوطي 1 / 121 .
[2]) للجمل المضافة إلى إذ شروط : فإن اسمية فيجب أن يكون معناها قد تحقق قبل النطق بها أو أنه ليست حقق في المستقبل أنه من المستقيم أو الممنوع أن يكون خبر المبتدأ في هذه الجملة الإسمية ، وإذ كانت فعلية و جب أن يكون الفعل ماضيا لفظا و معنى أو معنى فقط بأن يكون مضارعا يصح أن يوضع في الماضي النحو الوافي 3 – 64 .
[3]) سورة الأنفال الآية 26 .
[4]) سورة آل عمران الآية 103 .
[5]) الهمع السيوطي ، 1 ص 205 .
[6]) سورة الزلزال الآيات 1 - 2 -3 - 4 .

و من النحاة من يجوز فتح الذال في حينئذ . تحقيقا فيقول يومئذ اعتمادا على أن حركة الفتح أخف من حركة الكسر وقد صرح بذلك (يس) في حاشيته .
وقد ذهب المبرد إلى أن كسر أو أن في قول الشاعر :

طلبـــوا صلحنـــا ولات أوان *** فأجبنـــا أن لات حيـــن بقـــاء [1].

" وليست إعرابا ، ولا علما للجر ، والتنوين الذي بعده ، ليس الذي يتبع حركات الإعراب ، وإنما تقديره عنده ، أن أوان بمنزلة إذا في أن حقه أن يكون مضافا إلى الجملة نحو قولك : جئتك أوان قام زيد فلما حذف المضاف إليه من أوان عـــوض منه تنوينا ، [2] وكسرت النون لالتقاء الساكنين كما كسرت ذال إذ .
ولعل الذي حمل المبرد على هذا القول أنه رأى أوان مكسورة وليس قبلها عامل يوجب جرها فتخليه كذلك ويمكن لأوان كذلك أن تضاف إلى مفرد ، كما تضاف إلى جملة كقول الشاعر :

هـــذا أوان الشـــد فاشتـــدي زيـــم [3].

قلنا في بداية كلامنا أن الاقتصاد في الكلام مرتبط طبعا بشرط الجهد الأقل ، كمـــا أنه يساهـــم بشكـــل أو بآخر في تشكيل الجملة والمفردة فبواسطته يمكن جمع معاني بجهد قليل وبوقت قليل أيضا.

وبواسطته تمكننا أن نحذف من الخطاب كل شيء يعتبر مضيعة للجهد والوقت معنا ، وأن ما يجسد لنا هذا الذي قلناه هو ظاهرة التنوين عامة ، وخاصية العوض فيه عن المفرد أو عن الجملة هي التي تجسد لنا هذه الحقيقة ، بحيث يمكنك في العربية أن تجعل من حركة إعراب أن تحل محل كلمة مفردة ، وأن تؤدي إلى نفس المعنى دون الإخلال به وذلك تحقيقا للاقتصاد ، ومثالنا على هذا : صححت أو راق الطلاب ، فأعطيت كلاً حقه وأصلها ، أعطيت كل طالب حقه . فهنا الفتحتان أخذنا مكان مفردة طالب . فهذا طبعا تحقيق واضح للاقتصاد للغوي ، وما حدث للمفردة يحدث أيضا للجملة ، فهي أيضا تتعرض للحذف والإزالة ويحدث هذا كثيرا معها خاصة بعد "إذ" ، كقوله تعالى :" واذكروا إذ أنتم قليل .

[1] البيت لأبي زيد المنذور بن حرملة مات على دين النصرانية .
[2] شرح المفصل لابن يعيش 9 ص 32 .
[3] قائله : رويشد بن رميض العنبري (حواشي البيان و التبيين : 2 : 308 تحقيق هارون ط2 .

فنقول أنه إذا دققنا النظر حتى في تعريف التنوين في حد ذاته فهو عبارة عن إلحاق نون لآخر الكلمة هذا طبعا في التعريف . أي أنه في حالة نطق الكلمة نلحقها بنون لكن كتابة نجدها عبارة عن حركة بسيطة فتحة – كسرة – ضمة ، فلا وجود لهذه النون إطلاقا وهنا نجد قمة الاقتصاد ، أي أنه بواسطة هذه الحركة تمكنا من التخلص من هذا الحرف والذي لو وجد لاعتبر زيادة في حد ذاته لكن بالتخلص منه اعتبر قمة الاقتصاد ما باله إذن إذا أحلت هذه الحركات محل مفردات أو عبارات بحد ذاتها فهو قمة المحافظة على الجهد والطاقة مع توفير الكثير من المعنى .

وكما نجد أيضا هذه الحركة عوضا عن نون تلحق جمع المذكر السالم ولا تلحق جمع المؤنث السالم، فإنه لو لحقت هذه النون جمع المؤنث السالم لأصبحت هذه المفردات مكتضة وأصبح هناك خلط في مفردات اللغة العربية .

إذن فبمجيء هذه الحركات المزدوجة مكان هذه الحروف فإنه أعطى نوعا من الاقتصاد في الكلمة والجهد والمكان ، وبواسطته تمكنا من التخلص من نوع من الفوضى كانت سوف تصيب مفردات اللغة العربية من خلال هذه النون الزائدة التي ستكتب في الكثير من الكلمات مما سيؤدي إن صح التعبير إلى اكتضاض سواء من ناحية الكتابة أو من ناحية النطق إذ سيحسب لهذه النون ألف حساب .

وهناك ميزة أخرى لهذا التنوين أو وظيفة أخرى يقوم بها مكان أداة للتعريف بحيث أنه كما قلنا إذا لم يذكر فالاسم معروف ولا نحتاج إلى أداة تعريف لكن نبين عمن نحن متحدثون ، أما بمجرد وجود هذه الحركة في آخر الكلمة ، مباشرة تعلم أنك تتحدث عمن ليس بمعروف ، إذن فهذا إقلال للجهد واقتصادا في الوقت ، فلا داعي لأن تتحدث عن هذا الشخص أنه غريبا أو غير معروف كقولك : نفطويهٍ ، ونفطويهٌ .

وكذلك لمن يشبه عندهم الأمر أحيانا بين الفعل والاسم وخاصة عند تلاميذنا في بداية الدراسة والتعمق في اللغة ، فبمجرد أن يعرف أن ما لحقه تنوين فهو اسم وليس بفعل، يسهل عليه طريق لشق مسيره في اللغة ويسهل عليه التمييز بين مكوني اللغة والجملة العربية وهما الفعل ، والاسم ، وهنا طبعا اقلال بالجهد خاصة الفكري منه ، بحيث أنك لن تأخذ وقتا طويلا في معرفة الاسم والفعل ، لأنك تعرف ما لحقته تنوين اسم وهكذا يسهل الأمر تماما .

كذلك ما نلاحظه من خدمة التنوين للشعر فهو يقدم له خدمة كبيرة بحيث يساعد الشاعر على المحافظة على وزنه في قصيدته ، ويعطى له نوعا من الموسيقى في آخر كل بيت بحيث تحمل قصيدته نوعا من اللحن المتميز ، ولكن عيبه أنه يحتم الشاعر على مخالفة بعض القواعد النحوية .

لكن التنوين في هذه الحالة يعتبر خير خادم للشعر وخير وجه اقتصاد في اللغة العربية خاصة .

في الأخير يمكننا القول أن التنوين ظاهرة إملائية وهو اختصار لحرف النون من آخر الاسم المنون ، في صورة حركة من جنس حركة الإعراب – أو الحركة الأخيرة الملفوظة في مثل : هوă ، فلفظة (محمدٌ) تنطق : (محمدن) وتكتب محمدٌ (بضمتين) .

وقد يكون – كما رأينا– للتنوين أثر في المعنى التركيبي، وهو بذلك يعطي الجملة اقتصادا لغويا، لا يمثل له في اللفظ ، مع الوفاء بالدلالة على المراد ، فلو أن قائلا قال : هذا قاتلٌ أخي: بالتنوين ، وقال آخر : هذا قاتلُ أخي : بالإضافة لدل التنوين على أنه لم يقتله وبحذف التنوين على أنه قتله " [(1)].

ألا ترă كيف ناب ، التنوين عن الشرح والإطالة ، فالجملة : هذا قاتل أخي ، منطوقة ومكتوبة فيها اقتصاد لغوي في المبنى والمعنى .

[1]) مولد اللغة ، الشيخ أحمد رضا ، ص 135.

ثانيا : التنغيم : Intonation

هو العنصر الموسيقي في الكلام ويبدو ذلك العنصر في ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية تسمى نغمات الكلام ومن تعريفاته :

هو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإقاعات في حدث كلامي معين [1].

وهو موسيقى الكلام [2].

وهو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق[3].

فالتنغيم مرتبط بالارتفاع والانخفاض في نطق الكلام نتيجة لدرجة توتر الوترين الصوتين مما يؤدي إلى اختلاف الوقع السمعي ومن هنا نجد كلمات تتعدد طرق تنغيمها لتؤدي وظائف دلالية مختلفة [4].والتنغيم أيضا تشكيل صوتي للجملة أو العبارة كلها [5].

التنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام، ويدل على اللحن Intonation ولكل لغة عاداتها التنغيمية والتغيرات الموسيقية في الكلام وهي التنغيم وكل لغة تستخدمها بطريقة مختلفة عن الأخرة، فعن طريق هذه التغييرات يتوصل كثيرمن اللغات إلى التعبير عن الحالات النفسية المختلفة، وعن المشاعر والانفعالات فتستخدم تنغيما خاصا لكل من الرضى والغضب والدهشة والاحتقار إلى آخره، ونجد مثالا في الفرنسية أنها تحول معنى الجملة من الدلالة على التقرير إلى الدلالة على الاستفهام بتغيير التنغيم.

لدينا العبارة Il vienعندما تكون تقريرية بمعنى "هو يأتي" تنطق على نغمة هابطة أو(لحن هابط)، فإن كانت للسؤال أوعبارة عن سؤال:Il vient بمعنى "هل يأتي" نطقتها بنغمة صاعدة [6]. ويقوم التنغيم في لغات كثيرة بدور "مورفولوجي" هام أننا نجده في بعض اللغات صيغتين متماثلين من الناحية الصوتية ولكن كلا منهم معناها، وكثير من لغات الشرق الأقصى كالصينية ،وفي بعض اللغات الإفريقية وقد روă قندريس[7]أن أصحاب اللغة الفهلية (في إفريقيا الغربية الفرنسيـة) إذا نطقـوا mi warata بنغمة على

[1]) أسس علم اللغة ، ماريو باي ، ص 93.
[2]) الاصوات اللغوية ، د. ابراهيم أنيس ، ص 123.
[3]) اللغة العربية معناها ومبناها ، د.تمام حسان ، ص 226.
[4]) مدخل إلى علم اللغة ، محمد فهمي حجازي ، ص 48.
[5]) أسس علم اللغة ، ماريو باي ، ص 93.
[6]) علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، ص243.
[7]) العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ص 109 – 110 .

الفتحة الأخيرة مماثلة نغمة سائر الجملة كان معناها "سأقتل" أو(قتل) ، في الحاضر الدالة على العادة ، أما إذا نطقت الفتحة الاخيرة بنغمة أعلى صار معنى الجملة "لن أقتل".

وكما نعلم أن الجملة العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية وتعتبر هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة ، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض، غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة ، فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة بها ، فتصبح فاؤها ولامها وزوائدها وملحقاتها نغمات معينة بعضها مرتفع وبعضها منخفض .

فالصيغة التنغيمية منحى نغمي خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي كما أعانت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرفي للمثال ، فلو طلبنا من أحد المتكلمين أن يحاول نطق بعض الجمل وهو مقفل الشفتين لاستطعنا في هذه الحالة أن نسمع الهيكل التنغيمي للجملة المراد دون أن تسمع ألفاظ الجملة نفسها [1] ومن خلال ذلك يمكنك أن تعرف نوع الجملة المرسلـة ما إذا كانت استفهـاما أو اثباتا أو تأكيدا.

وهناك دور آخر يلبيه التنغيم ، ويمكن له أن يؤديه جيدا وهو الترقيم ، بحيث يمكنه أن يأخذ مكان علامات الترقيم ، والتنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة وربما يعود ذلك إلى عدد النغمات التي يستخدمها التنغيم مما يستعمله الترقيم من علامات كالنقطة والفاصلة ، والشرطة وعلامة الاستفهام أو علامة التعجب ، وهنا نلاحظ أن التنغيم ملمح جيد للاقتصاد وممثل جيد له ، إذ انه بواسطة هذا التنغيم يمكننا أن نتخلص من العديد من العلامات الترقيمية ونستبدلها بنبرة صوتية واحدة وهذا يعد قمة للاقتصاد فيمكننا أن نعتبر أن هذه العلامات عبارة عن فائض لغوي ، وطبعا الفائض يقابله الاقتصاد دوما واقتصادنا هو التنغيم.

وكما نعلم أنه لم يكن لدă العرب نظام الترقيم الذي نعرفه الآن ، لأن العربية الفصحى في عصرنا الأول كانت ككل لغات العالم بما أهملت أن تذكر الأدوات في الجملة اتكالا على التعليق بالنغمة فكان مثلا يمكن أن نفهم معنى الدعاء من قولهم (لاوشفاك ا) بدون الواو اتكالا على ما في تنغيم الجملة من وقفة واستئناف ومع ذلك لم يكن ثمة مفر لمن دونوا التراث للاحتفاظ دوما بهذه الأدوات لعدم وجود أدوات الترقيم.

---

[1]) المرجع نفسه ، ص 226.

نجد مثلا الشاعر أبي ربيعة في بيته قد استغن عن أدوات الترقيم واكتفى بالنغمة الاستفهامية للجملة فقال:

ثم قالـوا : تحبهـا þ قلـت بهــرا *** عدد النجـم والحصـى والتـراب[1] .

فقد أغنت طبعا وجود هذه النغمة الاستفهامية في قوله :" تحبها" بمالها من صفة ، وسيلة التعليق عن أداة الاستفهام ، فقد تمكن من حذف الاداة وتمكن من الاستغناء عنها ، واحتفظ بالنغمة الإستفهامية وهي حلت محل هذه الأداة ، وربما أشياء أخرã تصاحبها .

وكما يقول الدكتور تمام أحسان في كتابه أنه يمكن تغيير معنى البيت من خلال تغيير النغمة بحيث أخذه من الاستفهام إلى التقرير أو التأنيب أو الإيحاء أو إلى الاعتراف [(2)].

وللنغمة دلالة وهي دلالة وظيفيه على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثيرية المختصرة Exlamatory نحو : لا ! نعم ! يا سلام ! ا ! لأن هذه العبارات إن صح التعبير تنطق بنغمات مختلفة ومتعددة وكلما قمنا بتغيير النغمة نتحصل على معنى نحوي أو دلالي وذلك مع كل نغمة نقوم بتغييرها ونكون هذه النغمات بين الاستفهام والتوكيد والإثبات وتدل على معان مختلفة منها: الحزن، الفرح، الشك، التأنيب، الاعتراض ، التحقير وغيرها . وفي جل هذه الحالات تصبح النغمة هي العنصر الذي يحدد معنى الجملة بحيث لا يمكن نزعه من الجملة .

ونستعرض الآن النماذج التنغيمية الستة :

الأول الواسـ ـع	الثاني الواسـ ـع.
الأول المتوسـ ـط	الثاني المتوسـ ـط.
الأول الضيـ ـق	الثاني الضيـ ـق.

---

1) عمر بن أبي ربيعة ، الديوان ص 60.
2) أنظر العربية معناها مبناها ، تمام أحسان ، ص 227.

الواسع ما كان نتيجة إثارة أقوى للأوتار الصوتية بواسطة الهواء المندفع من الرئتين فيسبب ذلك اهتزاز أكبر في الاوتار الصوتية ومن تم يعلو الصوت ومن أمثلة استعماله الخطابة والتدريس لأعداد كبيرة من الطلاب والصياح الغاضب ونحو ذلك ، والمتوسط يستعمل للمحادثات العادية وهوأقل تطلبات لكمية الهواء وما يصاحبها من علو صوت وأما الضيق فهو المستعمل في العبارات اليائسة الحزينة وفي الكلام بين شخصين يحاولان ألا يسمعها ثالث على مسافة قريبة منهما ، فالسعة والتوسط والضيق تتصل باصطلاحات علو الصوت وانخفاضه هنا .

وأما الإصطلاحات "الأول" ، "الثاني" فلا يصفان إلا نغمة آخر مقطع وقع عليه النبر في الجملة من الكلام فإذا كان هذا المقطع منحدر من أعلى إلى أسفل فذلك هو الشكل الأول للحن العربي ، وإذا كان صاعدا من أسفل إلى أعلى فهو الشكل الثاني ومع أن الشكل الأول هو المستعمل للإثبات والنفي والشرط والدعاء وجميع الجمل حتى أنه ليشارك الثاني في مجاله ، وهو الاستفهام والعرض فيشمل الاستفهام بالظروف ونحوها دون الأداتين (الهمزة – هل) ترى الشكل الثاني قاصرا على الاستفهام بالأداتين فقط وهو النوع الوحيد من أنواع الاستفهام الذي ينتهي بنغمة صاعدة [1].

لدينا الجملتين :

هـل جـاء زيـد ؟ متـى جـاء زيـد ؟.

من خلال نطق الجملتين نرى أنه يوجد اختلاف في النغمة التي تنطق بهما كلا الجملتين ، ونلاحظ أيضا أنه لا تعد النغمة الأخيرة مع الظروف إلا عندما نريد من خلاله التعبير بجملة استفهامية وذلك عن معان إضافية مثلا : كالدهشة ، أو التعالي وهنا نجد أن جملة "متى جاء زيد" وتنتهي بنغمة صاعدة ، ولكنا نشير إلى أن هبوط النغمة أو صعودها أو أن يحدث لها تحول عن المستوى السابق في وسط الكلام أو في آخره .

أما إذا حدث وأن توقف المتكلم قبل تمام المعنى فإنه سوف يقف على نغمة مسطحة لا تكون صاعدة ولا هابطة ، ومن أمثلة ذلك الوقف عند كل فاصلة مكتوبة في الآيات الآتية :

---

[1]) العربية مبناها و مبناها ، تمام حسان ، ص 230.

" فإذا برق البصر . وخفق القمر . وجمع الشمس والقمر . يقول الانسن أين المفر" [1] ، فالوقف الذي يتم على "البصر" و "القمر" أولا "القمر" ثانيا وقف على معنى لم يتم فتظل هنا نغمة الكلام مسطحة دون صعود أوهبوط ، أما الوقف عند " المفر" فإن النغمة التي صاحبته فهي هابطة لأنه وقف عند تمام معنى الاستفهام وذلك من غير أداة ، أي أن الاستفهام بالظرف ، وطبعا كثيرا ما يرى المتكلم أن المعنى يتطلب الأداة أي الاستفهام الذي يتم بالظرف ، ولكن لأجل هذا فإن المتكلم يرى أن المعنى يتطلب تقسيم الجملة تنغيميا بحسب الاعتبارات الإلقائية إلى فقرة تنفسية تتصل بوجود مفاصل من الألفاظ كأدوات العطف وغيرها وعندها يقف المتكلم عند كل فقرة تنفسية منها نغمة مسطحة ، وذلك نحو ما حدث في الآيات التي سبق ذكرها.

ولتنغيم صور واضحة توضحه وتمثله جيدا ومنها الترنم ومد الصوت والتطريب وذلك ما نلاحظه في الندبة من رفع الصوت ، ولأن الشخص ينادي أحدا أو يستغيث بأحد فهنا نلاحظ أن الندبة ، والاستغاثة دون تكرير للكلام أو للحروف وإنما هو مجرد رفع صوت وهو يؤدي الغرض كما ينبغي ونجد ذلك عند ابن يعيش : "... الندبة تفجع وحزن والمراد رفع الصوت ومده لاسماع جميع الحاضرين" [2].

1 - [illegible] التنغيم في [illegible] :

حدث المرزباني عن ابراهيم بن اسماعيل الكاتب قال :

سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد فقال : انظر في هذا الشعر عيب ؟ وأنشده : ...

لايكـ ـون العيـ ـر مهـ ـراً *** لايكـ ـون المهـ ـر مهـ ـراً.

فقال الكسائي قد أقوى الشاعر ، فقال له اليزيدي ، أنظر فيه ، فقال : أقوى لابد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان ، فضرب اليزيدي بقلنسوته الارض وقال : أنا أبو محمد، الشعر الشعر صواب، إنما ابتدأ فقال : المهر مهر .

---

[1] شرح المفصل ، لابن يعيش ، ج2 ، ص 120.

[2] في نص السيوطي هذه الجملة استفهامية لن يفهم مراد الاستفهام منها إلا بالتنغيم ، ففي قوله انظر في هذا الشعر عيب ؟ أصبحت النغمة محددة بالاستفهام و إلا يتوهم القارئ للإخبار في هذا المقام و هو أمر غير وارد لوجود النغمة .

ونلاحظ من خلال هذه القصة القصيرة – إن صح التعبير أن الكسائي اعتبر ما جاء في البيت الشعري اقواء لأن "مهر" حقها النصب و لكنها جاءت منصوبة ، أما اليزيدي وفقد وجه نظرته إلى شيء آخر ، واعتمده على شيء جديد لتفسير ماحدث في البيت الشعري واعتمد في ذلك على التنغيم ، أو النغمة ، بحيث لاحظ ذاك الضغط الموجود لا يكون مما جعلها تأخذ حيزا صوتيا مميزا ، وأصل البيت هو (لا يكون العير مهرا لا يكون)

وبعدها سيتأنف الحديث بكلام جديد فهي عبارة عن توكيد لفظي لكن ذلك بوجود النغمة التي خصته جعلتنا نفهم الجملة من دون تكرير للكلمات أو إيجاد توكيد جديد فالتنغيم في هذه الحالة قد أدă الدور كله .

1- **التنعّآ! و النلات** :- ويبرز التنغيم في – الوصف بالجمل الإنشائية .

- الحذف في باب النعت .

كما نعلم فإن النعت يأتي أخبارا لا إنشاء، وإن جاء كذلك فإنهم يتحدثون عنه بتقدير المحذوف ، وهذا ما يهمنا وهو الحذف الذي يتم للنعت في هذه الحالة . ودليلنا قول ابن مالك :

وإن أتــت فالقــول أضمــر تصــــب .

والشاهد الذي يمكن الاعتماد عليه عند النحاة هو قول الشاعر:

حتــى إذا جــن الظــلام و اختلــط *** جاءوا بمدق هل رأيت الذئب قط .[1]

والصفة ها محذوفة ، ويظن أن "هل رأيت الذئب" والمحذوفة هي(مقول في) إذن الصفة هنا محذوفة ولقد ورد خلاف حول هذه القضية ، في اعتبار الجملة الأولى نعتا ، واعتبارها عاملا للنعت واعتبارها جملة استفهامية ، لكن ما يهمني في هذه الحالة هو النغمة التي حملتها هذه الجملة ، فقد جاء هذا التنغيم وفسر الجملة على أنها تقوم بتحقيق استفهام حقيقي ، يشبه ما نقوله في حياتنا اليومية ، أنه عبارة عن إيجاز في كلامنا واختصارا فيه لتأدية المعنى بسرعة و بطريقة سهلة كي لا تصعب الوضع

[1]) انظر من وظائف الصوت اللغوي ، أحمد كشك فقد أخذته كشاهد من الكتاب مباشرة ص 63 .

على القارئ و المتأمل في لغتنا كما قلت هذه جاءت فأزالت اللبس فقد دلت على الاختصار ، وذلك باستخدام التنغيم الاستفهامي ، بحيث تكون الجملة مزودة بتنغيم الاستفهامي يمكننا من فهم الجملة جيدا ، بحيث المقصود منه الوصف كما تعودنا على ذلك في قولنا : شفت النخلة : ونحن نتحدث عن رجل طويل، شفت الليمونة : ونحن نتحدث عن رجل مصفر الوجه وغيرها من الأمثلة التي يراد منها الوصف لوحده ، [1] فالشاعر في بيته السابق يريد أن يقول : حين أقبل المساء جيء لنا بلبن مخلوط بالماء هل رأيت لون الذئب ، وهذا ما نعبر عنه في عاميتنا " أنتم شفتم الذئب " فهذا كلام مساو في عرفنا لقولنا : كلون الذئب أو مغبر[2] . فالتغنيم في هذه الحالة الاستفهام الذي حملته الجملة فأريد بها الوصف لا شيء غيره فأدة إلى التخلي عن الصفة و ربما يمكننا القول حذفها كلها .

لقد أجاز النحاة حذف النعت و المنعوت لكن شرط أن يكون هناك من يدل عليهما في سياق الكلام رغم أن حذف النعت قليلا ، كما قال به صاحب الألفية :

وما من المنعـوت و النعـت عقـل *** يجـوز حذفـه و في النعـت يقل .[3]

ومن أمثلته قول الشاعر :

ترمـي بكفـي كـان من أرمـى البشـر .

وهنا لا مجال للهروب من الضغط على جملة " كان من أرمى البشر " وهنا نلاحظ أن التنغيم جاء تعبيرا عن الموصوف المحذوف الذي يمكن تقديره بقولنا "بكفي رجل كان من أرمى البشر "و يمكننا أن ندرك كيف أن التنغيم من أبرز الوسائل التي تبين حذف الموصوف .
وهناك مثال آخر هو قول الشاعر :

ورب أسيلـة الخديـن بكـر *** مفهمـة لهـا فـرع و جـيد .

---

[1]) كمال بشر له سبق في تصور هذا البيت ـ المؤلف .
[2]) وظائف الصوت اللغوي : أحمد كشك ص 41 .
[3]) الألفية ابن مالك ص 41 .

وهنا طبعا نلاحظ أو بالأحرى نحس تفخيما لكلمة (فرع) وهو نوع من التنغيم وهنا جاءت مع نوع من التفخيم لنبين مدى سواء الشعر وهو اللون الذي تحبه العرب وكذلك تنغيم لكلمة (جيد) فخمت وهي توحي بطول العنق ، وطبعا بوجود هذا التفخيم ، فإننا لم نلاحظ غياب و حذف الصفتين الخاصتين ب (فرع ، جيد) وذلك نلاحظه مقام للاطراد بالجمال والحسن ، إذن بوجود هذا التفخيم و بتوفره فإننا لم نلحظ ذلك الحذف إذن وجود التنغيم يغني عن الموصوف في هذه الحالة، إذن فهو عبارة عن اختصار لتكرار الكلمات ، وهنا نلاحظه .

ويمكننا ملاحظة ذلك فيما جاء به ابن جني في قوله "سير ليل " وهنا نلاحظ إطالة الصوت و تمطيط وتفخيم اللام وهو عبارة عن شكل من التنغيم وهو يريد أن يقول أنه سار سيرا طويلا ، وقد حذف هذه الصفة وهي "طويل " وعوضت بهذا التنغيم وهو عبارة عن تفخيم للام ، إذن فإن اللغة لا تعتمد على المفردات فحسب وإنما تعتمد كذلك على النغمة و التي هي عبارة عن شكل من التنغيم وهو يريد أن يقول أنه سار سيرا طويلا وقد تم حذف هذه الصفة وهي "طويل " وعوضت بهذا التنغيم وهو عبارة عن تفخيم اللام ، إذن فإن اللغة لا تعتمد على المفردات فحسب وإنما تعتمد كذلك على النغمة والتي هي عبارة عن صوت أو موسيقى تجوب هذه الجملة و بذلك نلاحظ انه بواسطة هذا التنغيم نحدث اقتصادا في الكلام وكذلك في عدد المفردات وكذلك في الكتابة .

وهناك مثال آخر في هذه الحالة لكن ليس بنفس الدرجة وهو قول الشاعر :

لو قلـ ـت ما فـ ـي قومهـ ـا لم تيثـ ـم *** يفصلهـ ـا فـ ـي حسـ ـب و ميسـ ـم .[1]

والتقدير في البيت : لو قلت ما في قومها أحد يفضلها، ولما حدث تقديم للجواب، فحدث هناك ضياع لبعض النغمة ، وضاع الإحساس الكامل به، وأصبحت النغمة فيه بهذا التقديم نغمة خافتة، وأصل الجملة كان كما يأتي :

لو قـ ـلت ما فـ ـي قومهـ ـا يفضـ ـلها في حسب وميسم لم تيثم .

[1]) لم تيثم في هذا البيت أي "لم تأثم " سهلت الهمزة بعد كسر حرف المضارعة فأصبحت تيثم . وفي البيت شذوذان كما يرى النحاة ، الشذوذ الأول كسر حرف المضارعة وتلك الظاهرة التي نلمعها و نجدها عنصرا أساسيا في المصرية المعاصرة " تيجي ، نلعب ، نسافر " والشذوذ الثاني يتمثل في توسط جواب الشرط " لم تيثم " بين المبتدأ و الخبر حيث التندير : ما في قومها لم تيثم أحد .

وهذا أمر مطلوب حتى يكون التركيز النطقي موجها إلى جملة "يفضلها " التي هي نعت الموصوف المحذوف المقدر " بأحد " فليس لناطق هنا أن نحلع قدرا من التركيز في الأداء على الشرط و جوابه أكبر من التركيز على المحذوف وصفته1.

إذن في هذه الحالة يمكننا القول أن النغمة تأتي مكان الموصوف الذي لا نحس بغيابه و بحذفه بوجود هذه النغمة التي تغطي عنه غيابه و تأخذ مكانه دون أن نحس بذلك ، وبهذا يساعد على الاقتصاد في الكلام والكتابة ومع ذلك لا يؤدي إلى خلل في الجملة .

2- التنغيم وأسلوب الشرط :

إن أسلوب الشرط يعتمد كما نعلم على أركانه الثلاثة : الأداة ، جملة الشرط جملة جواب الشرط ، والتي لها ترتيب دائم بحيث لا يمكن تقديم ركن على آخر ، وإلا لحدث هناك خلل ، ولدخلنا متاهة تقديم لمحذوف للمتقدم ولكن سنلمح لها من خلال سياق الحديث .

إذا اعتبرنا أن التنغيم علامة لتحديد مكان الجواب إذن يمكن له أن يحل محل الشرط ويكون دليلا قائما مقامها ، ويمكن أن نستدل بالبيت الشعري التالي :

فطلقهـا فلسـت لهـ ـا بكـفء *** وإلا يعـل مفرقـك الحـسام [(1)]

ونجد النحاة في هذا البيت يقدرون جملة محذوفة ، وتعتبر جملة الشرط وهي (إن لم تطلقها يعل مفرقك الحسام)، ودليلهم في ذلك هو السباق أي التنغيم الذي يلحق كلمة إلا وذلك بالضغط عليها والسكتة بعدها تقوم مقام المحذوف .إذ الضغط على إلا في هذه الحالة تمكنه أن يبين ما المراد بها وما المقصود من خلالها أي إمكانية التفريق بين معنى جديد (إلا) وبين معناها الذي نعرفه دوما وهو الاستثناء .مما سبق تمكننا القول أنه بمجرد الضغط على أداة الشرط ، وإعطاء الجملة صفة تنغيمية محددة فإنه ليكفي لتحديد أسلوب الجملة وهو أسلوب الشرط ، حتى و إن لم يبق من هذا الشرط غير الأداة ، وتمكن توضيح ذلك من خلال الضغط على أن في البيت التالي :

قالـت لبـنات العم يا سلمـى و إن *** كـان فقيـرا معدمـا قالـت و إن . [(2)]

---

[1]) مقدمة للقارء احمد الكشك ، ص66

[2]) قائلة رئبة بن العجاج خزانة الأدب 3 / 630 .

طبعا إذا عدنا إلى أصل الكلام وتخلصنا من الضغط على إن فإنه يكون كما يلي :" وإن كان فقيرا معدما فسوف أتزوجه " ، إذا نظرنا إلى الكلام الأصلي نلاحظ ذلك الأطناب والذي يكتنفه ، ولكن بمجرد الضغط على إن تم حذف أو تم التخلص من ذلك الاطناب و أي أننا في هذه الحالة أعطينا ل "إن " نغمة خاصة بها فخصت البيت ككل فأتى بنا ذلك إلى التخلص من فائض الكلام ، وقد فهم الكلام المراد من خلال هذا التنغيم إذن يمكننا أن نقول أن التنغيم تمكن له أن يكون أساسا تحكم طول جملة الشرط مع بعض أدواته .

وعن أسلوب الشرط يمكننا القول : التنغيم تمكن أن يكون وسيلة من بين وسائل لفهم الاسلوب و أساليب أخرى ، كالاستفهام و التمنى، و حيث حدد ترتيبا معينا لأجزاء هذا الأسلوب حيث جاء موحيا بطبيعة الجواب فيه، و حيث أمكن أن يكون دليلا على المحذوف الذي وصل إلى كونه دليلا لأسلوب كامل لم تبق إلا أداته تجمعت فيها نغمة الجملة ، وحيث أمكن أن ينوع بين بعض أدواته في الاستخدام و بعضها الآخر [1].

2) <u>اسم الفعل</u> : و هو عبارة عن اسم يساوي الفعل ، ويأتي مكانه ، كما قال النحاة بذلك .

1- اسم الفعل الماضي :ومن أمثلته "هيهات " بمعنى بعد ، " شتان " بمعنى : افترق .

وهناك من جاء وقال أنه يوجد فرق بين اسم الفعل ، والفعل الذي يدل عليه ، ويعود ذلك إلى شدة الانفعال لكن لا ينفي التماثل في المعنى ، و يكون التعبير في اسم الفعل مساويا لما نقوله في عاميتنا .

ونقول أن الفارق الذي وجد بين اسم الفعل و فعله بأن اسم الفعل وحده و بدلالة الجملة كلها يحمل تنغيما يمكنه من تمثيل الجملة حيث يمكنك وضع علامة التعجب والدهشة والاستغراب وراء هيهات، وشتان، و يستقل بهما الكلام و لا يحدث ذلك مع الفعلين بعد و افترق [2].

---

[1]) مقدمة للقارىء : أحمد كشك ص 73 .

[2]) يؤكد ذلك تمام حسان صاحب الكافية في النحو حين يقول :" ومنه شتان بمعنى افترق مع تعجب أي ما أشد الإفتراق ". الكافية في النحو لابن الحاجب ج2، 7400 .

وهناك من النحاة من فرق بين اسم الفعل والفعل الموازي له ، ولعل من مؤكدات مظهر الانفعال في هذا الاسم ما قاله ابن يعيţ في شرح المفصل في ج4 ص 25 وهو يعني الأسماء كلها :"والغرض منها الإيجاز والاختصار ونوع من المبالغة ولولا ذلك لكانت الأفعـال هذه ألفاظ أسماء لها أولى بموضعها "، فالإيجاز في التعبير هو الذي حمل هذه الكلمة شحنة تنغيمية توحي بالمبالغة ، ويقول ابن يعيţ أيضا : " وأما المبالغة فإن قولنا صه أبلغ في المعنى من أسكت " وصحب كتاب الكافية أدرك هذه الحقيقة التي ترă المبالغة أساس استعمال اسم الفعل فقال :" وأما المبالغة فهي ثابتة في جميع أسماء الأفعال " (1).

2- **اɜ! الŷJ المŢlþƱ** :- ونماذجه من الكلمات " أف ـ أوه ـ أي ـ وي" ، وفي هذه الحالة أيضا قال البعض و منهم أحمد كشك بعدم المساواة أو التسوية بين الفعل ، و اسم الفعل الذي يمثله ، ويستدل على ذلك من خلال ما تمكن أن يتعرض له الشخص فجأة من حرارة أو مرض أو ألم مفاجىء فإنه ينطق مباشرة باسم الفعل ولا ينطق بالفعل لأن اسم الفعل يعبر عن ذلك الموقف ، فمثلا تعرض شخص لا صابة مفاجئة مباشرة يقول "أي "ولا يقول"أتوجع" فهذا يعتبر منه خارقا للعادة ، و مثلا عند تعرضه للفحة شمس محرقة، وعرق يتصبب وضيق في التنفس مع إحساسه باختناق فيقول مباشرة "أف" وطبعا لن يقول "اتضجر" ،طبعا إذا نطق به أمامنا فسنضحك جميعا ، ويمكن أن يعبر عن ذلك بهزة الجسم عن ألم أو حركة رأسه أو تغيير في ملامح الوجه فكلها تؤدي إلى فهم التعيير المقصود من الفعل ، وطبعا إذا تم الاستغناء عن الفعل وتم ذكر اسمه أو إشارة فهذا يعتبر خدمة للاقتصاد اللغوي بل هذا تمثيل صريح له ، أي أنك عندما تستخدم اسم الفعل المكون من حرفين و الذي نبذل فيه أقل جهد ممكن ، بالإضافة إلى التنغيم الذي يصحبه فإنه يؤدي المعنى المطلوب و هذا طبعا لن يؤدي بك إلى تعب أو بذل جهد كبير ،فهناك فارق بين نطق حرفين و بين نطق أربعة أو خمسة حروف حتما هناك فرق بالإضافة إلى الجهد الأقل المبذول هناك شيء آخر فاسم الفعل مجرد النطق به يفهم فلن يلجأ المتلقى إلى احتمال تصديقه أو تكذيبه لأنه إنشاء ، وردت فعله سريعة ، ولست كفعله يحتمل الصدق و الكذب ، طبعا و يعتمد اسم الفعل دوما على التنغيم الذي يصاحبه دوما لكي يساعده على الغرض الذي يوضع لأجله .

---

1) الكافية في النحو لابن الحاجب ج2 ص 76 .

3- **اƐ! فǗل اٱمƥ** : وفي هذه الحالة يقول النحاة أنهما متساويان فيمكن النطق بهما أي أنه يمكن لاسم الفعل أن يأتي مكان الفعل و العكس صحيح أي مثلا : إذا قلت لشخص أكثر من الحديث والرغي : أسكت أوصه فكلامها يأتي مكان الآخر ، لكن إذا أوردنا هنا اسم فعل الأمر وذلك من باب الاقتصاد وقلة عدد الحروف ، وقلة الجهد المبذول لنطقها في اسم الفعل ، فعند النطق ب " صه " أسهل و أسرع من أسكت .

4) النداء ودور التنغيم فيه :

تخضع أساليب النداء للتنغيم ويعتبر من أحد ضوابطها ، ومميزا لها ، وهناك من النحاة من يصف النداء فيقول :" الغرض بالنداء التصويت بالمنادي ليقبل و الغرض من حروف النداء امتداد الصوت وتنبيه المدعو، فإذا كان المنادي متراخيا عن المنادي أومعرضا عنه لايقبل إلا بعد اجتهاد أو نائما قد انتقل في نومه استعملوا فيه جميع حروف النداء ماخلا الهمزة وهي : يا و أيا وأي يمتد بها الصوت ويرتفع " [1]، ومن الأمثلة التي ستطرق إليها لنوضح النداء ودور التنغيم سواء أكانت الأداة موجودة أو محذوفة ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى عزوجل :" يوسف أعرض عن هذا" [2] وقوله ايضا "ثم أنتم هؤلاء تنطقون".

وقول عمر بن أبي ربيعة :

خليلــي مرا بي على رسم منزل *** وربع لشنباء ابنه الخير محــ ـول [3].

وقوله أيضا :

نراهـا على الأدبار بالقوم تنكص [4].

وكما نلاحظ في الأمثلة السابقة غياب أداة النداء ، وطبعا برر النحاة بسبب حذفها أنه يمكن فهمها من خلال السياق والتقدير عندهم : يا يوسف – يا هؤلاء – يا خليلي .

---

1) شرح المفصل ، لابن يعيش ، ج2 ، ص15.
2) سورة يوسف الآية 29.
3) الديوان ، عمر بن أبي ربيعة ، ص 327 .
4) الديوان ، عمر بن أبي ربيعة ، ص 218 .

وما نلاحظه أن النداء لا يقتصر على وجود الأداة وحدها، بحيث لا يمكن الاعتماد عليها دوما في أداء الجملة الندائية لغرضها كما ينبغي، بحيث يمكن الاعتماد على المنادي الذي بإمكانه أن يبين لنا ما نود فهمه وطبعا يساعد في ذلك الطبعة النغمية التي تأخذها الجملة بحيث بإمكان هذا التنغيم أن يبين أسلوب النداء جيدا وحتى وإن لم توجد أداة النداء ، فنحن نعرف مثلا في حياتنا عند ما نريد أن نخص إنسانا مثلا بالمناداة عليه فإنه علينا أن نمد في اسمه ونقول مثلا : محماد – أي أننا نحذف الأداة .

ونكتفي بإطالة اسمه أي أننا نخص اسمه بحيز نغمي مميز ، أي ننطقه على شكل صرخة كبيرة ، وهنا نلاحظ أن الحيز النغمي قد ساعدنا على سرعة النطق به كما ساعدنا على الاقتصاد في كلامنا وذلك بالتخلص أن صح التعبير ، من أداة النداء أو بالأحرى فإنه قام مقامها ، وهنا طبعا فقد بذل جهدا أقل فهناك فرق في الجهد بين قولك يا محماد و محماد.

كما يمكن لهذا التنغيم أن يأتي مكان المنادي المحذوف والذي يمرنا بحذفه، أي أننا يمكن أن نعرف بوجود محذوف وذلك من خلال النغمة التي تصحب النداء والذي توجد به أداته ويمكن أن نبين ذلك من خلال البيتين التاليين :

ألا يا اسلمى يا دار رمي على البـلا *** ولا زال منهـلا بجرعائـك القطر [1]

ألا يا اسقياني قبل غـارة سنجـال *** وقبـل منايـا قد حضـرت وآجـال[2].

فإن النحاة يقدرون هنا منادى محذوفا أساسه :" ألا يا هذان اسقياني".

إن وجـود الأداة وحدها أعطى أحساسا بوجود المنادى المحذوف ولم يتسن ذلك إلا بوسيلة تنغيمية خلعـت على تلك الأداة ولعل ذلك موحيا لبعض النحاة أن يتصور في أداة النداء قريبا من أسماء الأفعـال [3].

[1]) من وظائف الصوت اللغوي ، أحمد كشك ، ص 104 و الديوان لعمر بن أبي ربيعة ، ص 120

[2]) الديوان ، ص 119

[3]) المصدر نفسه ، ص 105.

لقد كان أبو علي يذهب إلى أن حرف النداء "يا" ليس بحرف وإنما هو اسم من أسماء الأفعال [1].
إن هذا التصور يؤكد لنا دور التنغيم الذي يجعل أداة النداء تحمل قدرا من الإحساس بالمبالغة الموجودة في أسماء الأفعال كما عرضنا ذلك من قبل .

ويقودنا الحديث عن أنواع النداء التي تتكل كليا على التنغيم في اظهار ها و تبيين الغرض منها وهي مثلا كالندبة والاستغاثة ، فإن رفع الصوت والإطالة فيه هي أمور تنغيمية ، فهو الذي يوضعها ويبينها جليا وتعتمد عليه كثيرا .
وطبعا التنغيم تحدده وسائل القرب والبعد وتحدده العلاقة بين المنادǎ والمنادي .

4) الاستفهام والتنغيم :

كما نعلم أن الجملة الاستفهامية هي جملة إنشائية، ونحن ندرك أن التنغيم يقوم بدور كبيرفي هذا الأسلوب فهو يضفي قيمة خلافية يحدد هذه الجملة إزاء الجملة الخبرية رغم وجود أدوات الاستفهام ، ولكن نحن في بحثنا نبحث عن دور التنغيم في غياب بعض عناصر الجملة وذلك بحثا منا عن الاقتصاد في الجهد المبذول.

ومن الآيات التي نستدل بها لقيام التنغيم دليلا على كونها استفهامية ، قوله عز وجل :" يحلفون با لكم ليرضوكم وا ورسوله أحق أن يرضوه"[2] وهي أصلها أيحلفون þ على إنكار وقوع ذلك والتعجب منه والتوبيq عليه ، ومن شأنه أيضا قوله تعالى :" وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل "[3] وهي تساوي : " أو تلك نعمة تمنها علي þ

ويمكن أن نجد أمثلة من ذلك ما هو مأثور من كلام العرب قول امرأة للرسول الكريم – صلى ا عليه وسلم- :" ندǎ من لا صاح ولا أكل" وهي جملة أصلها : أندǎ من لا صاح ولا أكل. ومن أمثال الميدان قولهم : " تعلمني بضب أنا حرشته" أي : أتعلمني þ

---

[1] شرح المفصل ، لابن يعيش ، ج1 ، ص 127.
[2] سورة التوبة ، الآية 63 .
[3] سورة الشعراء ، الآية 23 .

ولعل مجال الشعر يفيض بكثرة استخدام مثل هذا النمط والتي تعتمد على النغمة والتنغيم وهي طبعا أمر سياقي دليلا على الاستفهام دون وجود الأداة، ونرة هنا استفهام الشاعر من غير أداة، فيقول :

شكـوت فقالـت كـل هذا تبرمـا *** بحبـي أراح ا قلبـك من حبي.

والمراد منه " أكل هذا تبرما بحبي" ، ويقول آخر :

أبيـت أسـري وتبيتـي تدلكـي *** وجهـك بالعنبـر والمسك الذكي.

أي : أبيت أسرة .

ونلاحظ مثل هذا أيضا عند ابن أبي ربيعة إذ أنه يعتمد على النغمة بديلا عن أداة الاستفهام وذلك في قوله:

أبرزوهـا مثـل المهـاة تهـادة *** بـين خمـس كواعـب أتـراب[1]

ثم قالـوا : تحبهـا قلت بهـرا *** عدد النجـم والحـص والتـراب[2].

فالاستفهام في هذه الحالة نلاحظه من خلال تنغيم جملة "تحبها" ، والضغط عليها ضغطا يؤكد ذلك الاستفهام .

وكما نلاحظ أنه يمكننا أن نفهم ما هو المقصود من الجملة أهو الاستفهام أو التوبيخ أو التعجب ، فإن كل هذا يعود إلى التنغيم إذ بواسطته يمكننا أن نحدد المراد بالضبط وذلك بضغط مميز على بعض أجزاء الجملة المقصودة ، وذلك يمكننا من الوصول إلى ما نريده بجهد قليل ، وباقتصاد وفير في الأدوات ، إذ أننا نعتمد على النغمة وكفى.

ونقول أن كل الأساليب الافصاحية يمكن فهمها من خلال الظاهرة الصوتية المسماة بالتنغيم كأساليب المدح والذم في اللغة وأساليب الاستثناء حين يأتي الأسلوب كاملا مرة ومفرغا أخرة وأيضا أساليب القسم [3].

---

1) الديوان ، عمر بن أبي ربيعة ، ص59 .

2) المرجع نفسه ، ص 60.

3) أنظر من وظائف الصوت اللغوي ، د. أحمد كشك ، ص 113.

بعد هذه الدراسة الوصفية التحليلية التي تناولت ظاهرة لغوية هامة وهي ظاهرة الاقتصاد ومظاهره و أهمية في التواصل اللغوي ، و أنا اعد ما قدمته في هذا البحث قطره من بحر مجرد إطلالة بسيطة على بحر واسع مترامي الأطراف الموسوم " الاقتصاد اللغوي " ، يمكن أن أسوق أهم النتائج التي اهتدة إليها البحث :

أما التقطيع المزدوج فإنه يجعل الوظيفة التواصلية تتم بوحدات دالة حينا ووحدات غير دالة حينا آخر وبوساطتها يمكن التعبير عن آلاف المعاني المتنوعة وذلك يكون ويتم بطريقة الاقتصاد والإيجاز.

وأما الإدغام فإنه يعمل على تخفيف النطق وذلك رغبة في تحقيق الانسجام و التوافق بين الأصوات ، ويتم الادغام بين حرفين متجانسين لكونهما من أصل واحد بحيث بدلا من النطق بحرفين اثنين متكررين يتم النطق بحرف واحد ومرة أي بدل استخدام الجهد مرتين يتم استخدامه مرة ويجري نطق الحرف مشددا في هذه الحالة.

وأما النحت أو تعديل الكلمة والذي يتم عن طريق إدماج كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة والتخاص من الفائض في الحروف بحيث لجأت إلى عرض كثير من المفردات التي تدل على ذلك ولقد وجدت عددا من هذه المفردات وبخاصة في هذا المجال العلمي والتطبيقي منها فهي تؤدي إلى الغرض المطلوب بكل دقة بحيث تأخذ من كل كلمة حرفا أو أكثر من ذلك مثل ما نراه في الأسماء التي تطلق حاليا على عدد لا بأس به من المنظمات U.N.I.S.C.O .

وعلى هذا الأساس فإن الاقتصاد في الجهد العضلي فيمكن للمتكلم أن يبذل أقل جهد ممكن (فكريا ، عضليا) ويحدث ذلك في فترة زمنية قصيرة وذلك طبعا لتحقيق عملية التواصل.

ويمكن للفرد أن يعبر عن أفكاره ومواقف الأساسية بطريقة إبداعية تجسد مبدأ الإقتصاد في الجهد العضلي.

وأما الحذف فقد عرضنا فيه إلى تبيان بعض العناصر التي تتكون منها الجملة : كالمسند إليه ، وقد كان حذفه يخدم الغرض البلاغي ، وكانت الفائدة من حذفه : الاختصار و الدلالة على الاختصاص ، وكذلك المحافظة على الوزن واتباع استعمالات العرب ولقد لاحظنا حذف نوع من المسند إليه وهو الفاعل ، وكان الغرض من حذفه هو تحقيق نوع من السرعة في الفهم لكون الفاعل معلوما لدة المخاطب في كثير من الأمثلة المقدمة .

أما عن حذف المسند فقد كان الغرض من ذلك هو الاختصار كذلك . وتحقيق الاقتصاد ، والثقة بشهادة العقل دون الاعتماد على اللفظ و الدلالة على الاختصاص وكذلك المحافظة على الوزن فمثلا حذف الفعل في القول الغرض منه هو الوصول إلى طرح الغرض الحقيقي الذي يهدف لبيانه ، كما أنه يتم حذف الفعل لكونه غير متحقق الوقوع ، أو لأنه متحقق الوقوع ولا فائدة من ذكره وبذلك يظهر لنا حذفه.

أما حذف الجمل فإن الغرض منه هو الاختصار و الاكتفاء بالسبب دون المسبب و التفسير أي أن حذف الجمل وهي التي تعد تعبيرا كبيرا عن تحقيق الاقتصاد حقيقة .

وإذا تناولنا من هذه النتائج قضايا الإضمار و الاختصار ومن خلال اسميهما يمكنك فهم المراد بسرعة فهما مصطلحان يدلان على نفسيهما من غير شرح كبير ، كما أنهما يعدان من أبرز سمات الاقتصاد الواضحة بحيث يمكنهما الدلالة على خصائصهما من دون جهد كبير بحيث يمكن استخدام هذا الاختصار في وصف الاحوال وبذلك يمكنه أن ينوب عن الجملة و التي يتم فيها عرض الكثير من الأوصاف .

ونلحظ للتنوين أثر في المعنى التركيبي ، فهو بذلك يعطي للجملة اقتصادا لغويا لا مثيل له في اللفظ ، مع الوفاء بالدلالة على المراد توصيله من المعنى ، كما أنه يمكن أن ينوب عن الشرح و الإطالة ، أي أنه يحقق اقتصادا في المعنى و المبنى أي بامكانه أن يحل محل جملة كاملة و أظن أنه أكبر تحقيق لمبدأ الاقتصاد و كذلك مبدأ الاقتصاد في الجهد العضلي .

وحين تناول التنغيم فإن الغرض الاقتصادي منه ههنا يتم لأجل التخفيف و الإيجاز من الناحية الصوتية و تحقيق مبدأ الجهد الأقل وهذا ما رأيناه في حالة حلول التنغيم مكان العديد من التعابير و الإعتماد عليه في و إظهار بعض الحالات النفسية كما يمكن عن طريقه تغيير حالة جملة من دلالة إلى دلالة أخرة أي أنه يعطي قوة للمعنى المراد توصيله بحيث يمكن الاستغناء عن العديد من الكلمات و الاشارات .

تلك هي القضايا المدروسة من حيث العنصران الصوتي والنحوي وحسبي أنني حاولت جاهدة درس القضايا المذكورة ، فإن وفقت فتوفيقي من ا وذاك حسبي و إن لم أوفق فحسبي أني اجتهدت ونظرت قدر المستطاع في الموضوع ، فيما وجدت فيه من قضايا تكون قد أخذت سبيلها للدرس التحليلي في هذا المجال من الاقتصاد اللغوي الذي حاولت جاهدة أن أسهم فيه و لو بالقدر اليسير في هذا العمل المتواضع . و ا ولي التوفيق .